

قصة وتاريخ الحضارات العربية

أول موسوعة من نوعها حديثة وباللوان تعالج نشأة البلدان العربية وأحداثها حتى أيامنا هذه

٢٧ - ٢٨

تاريخية - جغرافية - حضارية وأدبية

شعراء العرب
وأدباؤهم

(العصر الأندلسي وعصر النهضة)

Edito Creps, INT- 1998 -1999

BEYROUTH ,TEL :01/586207 - 01/586219 - 03/240824 - FAX 009611584391

جميع حقوق النشر و الطبع و الإقتباس محفوظة للنشر في جميع أنحاء العالم

Tous droits réservés dans le monde,
Reproduction même partielle interdite

All rights reserved throughout the world.
No part of this publication may be reproduced in any form

قصة

و

تاريخ

الحضارات العربية

٢٧ - ٢٨

الفصل الاول

المحضر الاندلسي

شعراء العصر الأموي في الأندلس

١ - يحيى الغزال

هو يحيى بن حكم الجباني الملقب بالغزال. ولد سنة ١٥٦هـ وترعرع في عهد عبد الرحمن الداخل. عاصر أربعة من أمراء بني أمية فضلاً عن الداخل، وهم هشام بن الداخل وابنه الحكم وعبد الرحمن بن الحكم ومحمد بن عبد الرحمن. وهو يذكر ذلك في أرجوزته التاريخية فيقول:

أدركت بالمصر ملوكاً أربعة وخامساً هذا الذي نحن معه

كان يحيى بن حكم جميل الوجه طويل القامة قوي البنية، ولذلك لقب بالغزال. وكان ذا معرفة بعلم النجوم فسماه المقرئ «العزاف». أما شعره فجاء بعيداً عن التكلف قريباً إلى الطبع، وهو يعتمد السرد القصصي ككثير من قصائده التي يروي فيها رحلاته وجولاته. يميل يحيى إلى السخرية الدالة على ميله إلى الفكاهة وهذه السخرية تصل به أحياناً إلى مستوى المرارة في النظر إلى حقائق الحياة. كان لشيخوخته تأثير في شعره فاتجه به إلى الوعظ، كما برز عنده طابع الزهد الذي ترجمه بأبيات تعكس تجربته في الحياة وصدق شعوره. كانت وفاة يحيى بن حكم الغزال في حدود عام ٢٥٠هـ.

٢ - مؤمن بن سعيد

هو مؤمن سعيد بن إبراهيم بن قيس. ولد في قرطبة واشتهر في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن. اتصل بالأمير مساعد بن محمد وبالقائد هاشم بن عبد العزيز ومدحهما. كان ميالاً إلى التهكم يتبع زلات الناس ولا سيما الخصوم فيتندر ويهجو.

إن إطلاق مؤمن العنان للسانه كان سبباً لنهايته. فقد توجه القائد هاشم بن عبد العزيز على رأس قوة لقمع ثورة في بطليموس فوقع في كمين وأسر.

فشمت به مؤمن ونظم قصيدة يتعرض فيها له ويمدح خصمه وابن عمه عمر .
ومما جاء فيها:

تصبح أبا حفص على أسر هاشم ثلاث زجاجات وخمس رواطم
وبح بالذي قد كنت تخفيه خفية فقد قطع الرحمن دولة هاشم
حفظها له هاشم وتغير عليه ثم خلص من الأسر وراح يسعى لدى
الأمير للإيقاع به ونجح في إلقائه بالسجن . لم تنفع قصائد المدح
والاستعطاف فبقي مؤمن مسجوناً حتى وفاته سنة ٢٦٧هـ .

٣ - محمد بن يحيى القلقاط

هو أبو عبدالله محمد بن يحيى القلقاط القرطبي، عاش في عهد الأمير
عبدالله بن محمد وأدرك خلافة عبد الرحمن الناصر . وقد شهدت البلاد في
عهد الأمير عبدالله ثورات أضعفت السلطة كثرة ابن حفصون وثورة أبي
حجاج في إشبيلية وسعيد بن جودي في غرناطة . هذا الواقع حمل القلقاط
على هجاء الأمير عبدالله لضعفه في قصيدة جاء فيها:

ما يرتجي العاقل في مدة الرجل فيها موضع الرأس
كان القلقاط مستهتراً ميلاً بطبعه إلى العبث يتهم بالمؤدبين ويلجأ إلى
صنوف الحيل للعبث بهم . كما عابث الشعراء وفي طليعتهم ابن عبد ربه
الذي صادقه ثم هجاه . وإلى جانب اهتمامه بالشعر كان القلقاط متمكناً من
أسرار اللغة ، فقد عدّ من النحويين وأورد له الزبيدي قصيدة جمع فيها بعض
المسائل اللغوية والأحاجي النحوية ولم يكن يجاريه في عصره سوى صديق
الحكيم . توفي القلقاط في حدود عام ٣٠٢هـ .

٤ - ابن عبد ربه

هو أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي الكندي ، من شعراء قرطبة .
عاصر الدولة الأموية زمن الناصر وابنه الحكم وحفيده هشام . أخذ صناعة
الشعر عن أبي بكر بن هذيل الكفيف . واشتهر في عهد الحكم فأصبح من

المقربين. إتصل الرمادي بكثير من الأمراء الأمويين، كفرحون بن عبدالله بن عبد الواحد وعبد العزيز بن المنذر الأموي. وفي أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر نال الرمادي بعض الحظوة. وفي هذه المرحلة كان الرمادي قد كبرت به السن وأمسى فقيراً وقد توفي سنة ٤٠٣هـ.

ترك الرمادي قصائد في مختلف الفنون المعروفة في عصره وأهمها عنده المدح والوصف والغزل والخمر، ويمتاز شعره بالسهولة واعتماده الصور وميله إلى السخرية في بعض قصائده.

٥ - أبي دراج القسطلي

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن العاصي بن عيسى بن دراج الأندلسي، نسبة إلى قسطلية من أعمال جيان. ولد عام ٣٤٧هـ (٩٥٨م). وهو من شعراء عهد الفتنة. نال حظوة لدى المنصور بن أبي عامر فتألب عليه النقاد وادعوا عليه عند المنصور أنه ينتحل شعره، فعقد له المنصور مجلس امتحان واقترح عليه النظم في موضوع معين فنظم ما أعجب المنصور وكذب دعوى الذين اتهموه بالسرقعة، ودافع عن نفسه بقصيدة مشهورة، مطلعها:

حسبي رضاك من الدهر الذي عتبا وعطف نعماك للحظ الذي انقلبا

بين سنتي ٤١٢ و ٤٥٢ انتقل إلى «دانية» حيث مجاهد العامري وتوفي فيها سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م. يعد أبي دراج في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين وهو أحد الشعراء الفحول. تأثر تأثيراً واضحاً بشعر المتنبي وابن هاني فسار على خطاهما فجاء بشعر فيه المعاني البعيدة، يساعده في ذلك خيال مبدع وقدرة على التلاعب بالمعاني وقد عارض شعر المتنبي وأبي نواس وابن هاني فما أسف.

٦ - ابن شهيد

هو أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبد الملك الشاعر والناثر. ولد في قرطبة سنة ٣٨٢هـ (٩٩٢م) في خلافة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر. أقام أبي شهيد في قرطبة يودع

خليفة ويستقبل آخر. وعندما تم الأمر للمستعين اتصل به أبي شهيد ومدحه، لكن الحساد أوقعوا بينهما فسات العلاقة بينهما.

أصيب شهيد بداء الفالج ومات سنة ٢٤٦هـ (١٠٣٥م).

من خصائصه الشعرية أن الموسيقى الهادئة تتزاحم مع الصور المتنوعة في بعض قصائده فإذا تحدث عن الأصوات جاءت مدوية، ولعل لذلك صلة بثقل سمعه. وكردة فعل على سمعه الثقيل كان يميل في الشعر إلى الحوار. أما بالنسبة إلى الشر فقد ترك أبو شهيد رسائل تعالج قضايا اجتماعية تاريخية أدبية ضمنها آراءه النقدية، وأشهرها رسالة «التوابع والزوابع».

٧ - أبي هاني الأندلسي

هو أبو القاسم وأبو الحسن محمد بن سعدون الأزدي المعروف بابن هاني الأندلسي. من شعراء المغرب والأندلس المشهورين وقد لقب بمتنبي المغرب. ولد قرب إشبيلية سنة ٣٢٦هـ (٩٣٨م). وأصل أبيه من قرية من قرى المهديدة بإفريقيا وكان شاعراً. انتقل إلى الأندلس حيث ولد محمد زمن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر. نشأ في إشبيلية ثم انتقل إلى قرطبة وتأدب بدار العلم فيها. توفي سنة ٣٦٢هـ (٩٧٢م).

أجمع كبار الأدباء في الأندلس على جعل ابن هاني في الطبقة الأولى. قال لسان الدين بن الخطيب: «كان من فحول الشعراء لا يدرك شأوه ولا يشف غباره». أكثر شعر أبي هاني جاء في المدح، كما يعد من شعراء الوصف ولكنه يجنح بهذا الموضوع إلى الغلو والمبالغة. وهو يهتم باللفظ اهتمامه بالمعنى حتى أنه يسخر المعنى أحياناً من أجل اللفظة. على صعيد آخر، نستطيع من شعر ابن هاني أن نتعرف إلى مذهبه وميوله السياسية فقد كان شيعياً يذهب مذهب الفاطميين في الحلولية.

شعراء عصر ملوك الطوائف

١ - ابن زيدون

هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله المخزومي. ولد في قرطبة سنة ٣٩٤هـ (١٠٠٤م). نشأ في بيئة فقه وعلم وأدب. توفي أبوه وهو في الحادية عشرة من سنه فكفله جده، وواصل تحصيل الثقافة فتعمق في علوم الفقه والتاريخ واللغة والأدب ثم نبغ بالشعر والنثر. ساعد أبا الحزم بن جهور في الوصول إلى الحكم فعهد إليه الحاكم الجديد بالوزارة وكلفه السفارة لدى ملوك الطوائف فلقب بذي الوزارتين. توفي ٧ في رجب سنة ٤٦٣هـ (١٠٧٠م).

يعتبر ابن زيدون أسطع وجوه الأدب الأندلسي وأطولهم باعاً في النظم وأكثر الشعراء شهرة. وحظيت رسائله باهتمام علماء اللغة والأدب، وأكثرها شهرة النونية المعروفة ومطلعها:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

تناول شعره مواضيع مختلفة ولا سيما الغزل والمديح والوصف والشكوى والعتاب. تميّز شعر ابن زيدون بحسن الصياغة وغنى المفردات ودقة اختيارها، وأول ما يلفتنا بروز شخصيته ووضوح نفسيته. لا تأخذ شخصية ابن زيدون شكلاً واحداً بل تتغير وتتبدل بحسب ما تفرضه الظروف والأحوال. هذا التغيير هو الذي يعطي شعره حيوية لافتة وحياة دائمة. لقب ابن زيدون «ببحثري المغرب» وذلك لسببين: الأول هو طول النفس في النظم، والثاني هو ولع ابن زيدون بالزخرفة، فقد أكثر من الصنعة وجاءت أبياته كشعر البحري غنية بالصور البيانية والمحسنات البديعية.

٢ - المعتمد بن عباد

هو أبو القاسم محمد بن عباد المعتمد على الله أشهر ملوك الطوائف

في الأندلس . ولد سنة ٤٣١هـ (١٠٤٠م) . تلقى دروسه في بلاط أبيه المعتضد والذي كان مقصد رجال العلم والأدب . بدأ حياته السياسية عاملاً لأبيه المعتضد على ولبة ، ثم حاصر مدينة شلب فسقطت بيده وولي عليها ، وفيها برزت مواهبه الشعرية . وفي سنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥م) توفي المعتمد بن عباد .

مر شعر المعتمد بمرحلتين متناقضتين ، مرحلة تصور الحياة اللاهية تتناول شعر الفخر والوصف والغزل والاستعطاف ؛ ومرحلة ثانية تصور الحياة المتألمة في الأسر فكان الألم المحرك الأول لشاعريته وفجر عبقريته شعراً وجدانياً خالصاً معبراً عن حالات الشاعر الأسير . بعض ما جاء في شعره .

غريب بأرض المغربين أسير	سبيكي عليه منبر وسرير
مضى زمن والملك مستأنس به	وأصبح منه اليوم وهو نفور
فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة	أمامي وخلفي روضة وغدير

٣ - أبو بكر بن عمار

هو أبو بكر محمد بن عمار ، ولد قرب شلب سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) ودرس على جماعة من العلماء والشيخوخ ، ثم انتقل إلى إشبيلية ومدح المعتضد بن عباد فاشتهر بعد أن كان خامل الذكر . قتل أبو عمار بيد المعتمد سنة ٤٧٧هـ (١٠٨٥م) بعد سماعه يهجوهُ :

مما يزهديني في أرض أندلس	ألقاب معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها	كالهريحكي انتفاخاً صورة الأسد

يمتاز شعر أبي عمار بالركة والطبيعة وحسن الوقع والبعد عن الكبر والتكلف كما يلجأ فيه إلى الصور المستوحاة من بيئته فتكثر عنده الاستعارات والتشابه الناعمة ، وأهم ما تناوله المدح والهجاء والوصف والاستعطاف .

٤ - أبو بكر بن اللبانة

هو أبو بكر محمد بن عيسى اللخمي الأندلسي المعروف باسم ابن اللبانة . ولد في مدينة دانية شرقي الأندلس ، ولم تذكر الكتب التي أرخت له تاريخ مولده ولا ذكرت شيئاً مهماً عن نشأته . كان من شعراء البلاط العبادي

ميزه المعتمد بن عباد وجعله من المفضلين لديه وبالغ في تكريمه، وقد أحب ابن اللبانة أميره فلأزمه في أيام سعده وزاره في أيام محنته. توفي في مبرقة سنة ٥٠٧هـ (١١١٣م). اهتم ابن اللبانة فضلاً عن الشعر التقليدي بفن الموشحات وعالج مختلف المواضيع، لا سيما المدح. ومن شعره المشهور قصيدته التي نظمها عقب سقوط الدولة العبادية وفيها يعبر عن حزنه:

تبكي السماء بمزن رائج غاد على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها وكانت الأرض منهم ذات أوتاد
يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

٥ - ابن حمديس

هو أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي السرقوسي الصقلي. ولد في سرقوسة جنوبي صقلية سنة ٤٤٦هـ (١٠٥٥م) ونشأ فيها. ترك الشاعر وطنه قبل سقوطه بيد النورمان، ولعل الهرب من واجب الدفاع عن الوطن كان يؤنب ضمير الشاعر في ديار الغرب فغوض عنه بالأسف والحنين حتى آخر أيامه واستبدل بتخاذله وهربه دعوة المتخلفين إلى البقاء وكفر عن نكوصه باثارة الحماسة في قلوب المجاهدين:

بني الثغر لستم في الوغى من بني أمي إذا لم أصل بالعرب منكم على العجم
دعوا النوم إنني خائف أن تدوسكم دواه وأنتم في الأمان مع الحلم

توفي سنة ٥٢٧هـ (١١٣٣م). كان ابن حمديس وافر العناية بشعره جمعه بنفسه في ديوان كبير وفصل فيه مناسبات بعض القصائد فأفادنا الكثير من الشؤون المتعلقة بحياته وهو لم يختم الديوان بل كان يضيف إليه شعره المستحدث كلما عرض له شيء من ذلك.

٦ - ابن خفاجة

هو أبو اسحق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبدالله خفاجة. ولد في جزيرة شقر من أعمال قلنسية شرقي الأندلس سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م). حياة أبي خفاجة غير مفصلة في المصادر، إنما نعلم من خلال ما ذكر عنه أنه كان

صاحب لهر ومجون في شبابه، فلما تقدمت به السن أفلح عن الغواية وسلك سبيل الرشاد.

توفي ابن خفاجة في شقر في سنة ٥٣٣هـ (١١٣٩م). عالج الأغراض المعروفة كالغزل والوصف والمدح والرشاد والشكوى والعتاب والفخر إلا أنه يختص بالنزعة الأندلسية التي يتمثل فيها شغف الشاعر بطبيعة بلاده واستسلامه إلى سحر جمالها.

تمتاز لغته بالركة والنعومة واشراق الديباجة ويحلّيها بالاستعارات والتشابه وهو يعد من أشهر شعراء الأندلس وأنجحهم في مجال الوصف كوصفه لنهر شقر:

لله نهر سال في بطحاء	أشهى ورداً من لمى الحسناء
وغدت تحف به الغصون كأنها	هدب يحف بمقلة زرقاء
والماء أسرع جريه متحدراً	متلوياً كالحية الرقطاء

٧ - ابن الزقاق

هو أبو الحسن علي بن عطية بن مطرف اللحي البلنسي المعروف بابن الزقاق. مدح الأكابر ولكنه لم يعمر فمات وهو دون الأربعين سنة ٥٢٨هـ (١١٣٤م). اشتهر بالغزل، ومن شعره قوله:

وساق يحث الكأس حتى كأنما	تلاّ منها مثل ضوء جبينه
سقاني بها صرف الحميا عشية	وثنى بأخرى من رحيق جفونه
هضيم الحشى ذو وجنة عندمية	تريك جني الورد في غير حينه

٨ - ابن عبدون

هو أبو محمد عبد المجيد بن عبدالله بن عبدون الفهري، وزير أندلسي وأديب مشهور جمع بين الكتابة والترسل والشعر والحديث ولقب بذي الوزارتين. ولد في يابرة وأعجب بثقافته عمر المتوكل بن الأفطس أمير يابرة وصاحب بطليوس فجعله كاتب سره. ثم صار وزير دولة بني الأفطس حتى انهيارها، فاضطر إلى الالتحاق بدولة المرابطين وغدا كاتبها حتى وفاته في يابرة سنة ٥٢٩هـ (١١٣٥م).

شعراء عصر بني الأحمر

١ - ابراهيم بن سهل الاشبيلي

هو أبو إسحق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الأشبيلي الأصل، ولد في حدود سنة ٦٠٥ هـ (١٢٠٨م). انتقل إلى سبتة بالمغرب واتصل بوالها ابن خلاص وكتب له. وحصل أن خرج معه في زورق فانقلب بهما فغرقا سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١م). كان ابن سهل يهودياً، فأسلم بعد أن قرأ مع المسلمين وخالطهم. ترك مجموعة قصائد جلها من الغزل إضافة إلى النظم التقليدي وموشحات رقيقة. من أشهر قوله:

سل في الظلام أذاك البدر عن سهري	تدري النجوم كما يدري الورى خبري
أبيت أسمع بالشكوى وأشرب من	دمعي وانشق ربا ذكرك العطر
حتى أخيل أني شارب ثمل	بين الرياض وبين الكأس والوتر

٢ - ابن خميس التلمساني

هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن محمد الحجري الرعيني المعروف بابن خميس التلمساني. شاعر وأديب مغربي ولد سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٨م). ولما أتقن اللغة وأساليب الترسل اتصل بملوك تلمسان فكتب لهم ومدحهم. مات قتلاً في شوال ٧٠٨ هـ (١٣٠٩م).

٣ - لسان بن الخطيب

كانت أسرة لسان الدين بن الخطيب تعرف ببني الوزير وكانت من أهل قرطبة، ثم انتقلت إلى مدينة لوشة حيث ولد فيها الشاعر سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣م). درس القرآن الكريم كتابة وحفظاً على يد عبدالله بن عبد المولى العواد، كما درس العربية على يد أبي عبدالله بن الفخار البيري وأخذ الطب والمنطق عن أبي زكريا يحيى بن هذيل التجيبي. اتصل بالكثير من الأمراء

والحكام فمدحهم وأكرمهم، لكن أعداء الخطيب لم يتركوا فرصة إلا وأوقعوه في خلاف مع السلطان أبي العباس فسجنه وأمر بقتله فمات على يد تلميذه ابن زمرك خنقاً في أواخر سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٥م).

تناول آثار ابن الخطيب الأدب والتاريخ والجغرافيا والرحلات والدين والتصوف والأخلاق والسياسة والطب والبيطرة والبيزرة، كما كان كاتباً مجيداً وشاعراً رقيقاً ومن أصحاب الموشحات المشهورة. من كتبه «اللمحة البدرية في الدولة النصرية» و«الاحاطة في أخبار غرناطة».

٤ - ابن زمرك

هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن أحمد الصريحى المعروف بابن زمرك. ولد في ربض البيازين بغرناطة سنة ٧٣٣هـ (١٣٣٣م). تتلمذ على يد الأديب والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب فخرجه في فنون الأدب والشعر والسياسة. إلا أنه جحد فضل أستاذه وكافأه بالقتل خنقاً فكان أن جوزي على فعله بمثله، إذ نكبه السلطان وأرسل إليه من قتله في بيته ليلاً سنة ٧٩٣هـ (١٣٩١م).

شعر ابن زمرك رقيق طويل النفس ينسج فيه على منوال أستاذه ابن الخطيب، ولا سيما في فن التوشيح. فمن شعره المشهور قوله:

معاذ الهوى أن أصحاب القلب ساليا	وأين يشغل اللوام بالعدل باليا
دعاني أعط الحب فضل مقادتي	ويقضي علي الوجد ما كان قاضيا
ودون الذي رام العواذل صبوة	رمت بي في شعب الغرام المراميا

الموشحات الأندلسية

الموشح هو فن شعري فيه لون جديد من النظم، ظهر في الأندلس في أواخر عهد الدولة المروانية وازدهر في القرن العاشر للميلاد. فيه خروج على وحدتي الوزن والقافية وعناية خاصة بالموسيقى.

الموشح يعني المعلم، أي الموشى والمزخرف. سميت الموشحات بهذا الاسم تشبيهاً لها بالوشاح، وهو عبارة عن نسيج أو جلد يرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقيها.

أما أقسام الموشح فقد تعددت وتنوعت حتى أنه لم يعد ممكناً وضع نظام يطبق على كل الموشحات. لكن قسماً كبيراً تتبع نمطاً معيناً من هذا التقسيم:

- المطلع أو اللازمة أو المذهب. يسمى قفل البداية المطلع ويأتي مستقلاً عن سائر أقسام الموشح وقد تكون قوافي المطلع متفقة أو مختلفة.
- القفل هو كلام يتكرر مع كل دور بوزنه وعدد أجزائه وقافيته.
- البيت هو كلام يتكرر بوزنه وعدد أجزائه من دون قافيته.
- الدور هو مجموع بيت وقفل ولا يدخل المطلع في أي دور.
- الخرجة أو قفل النهاية هي آخر قفل في الموشح. والخرجة عند بعض الوشاحين كانت في غاية الأهمية تأتي مختلفة عن سائر الاقفال.
- الغصن والسمط: الغصن هو كل جزء من القفل والسمط هو كل جزء من البيت.

أما بالنسبة إلى نشأة الموشح فقد اختلفت الآراء حول كيفية نشوء هذا الفن. لكن المؤرخين الأندلسيين يتفقون على أنه نشأ عندهم ثم انتقل إلى المشرق. أما بداية فن التوشيح فلا ندري بالتحديد متى كانت وعلى يد من

نشأت. وأقدم ما وصل إلينا من هذا الفن هو لعبادة القزاز المتوفى سنة ٤٢٢هـ (١٠٣٠م).

يهدف هذا النوع من الفنون إلى غايات موسيقية، فالمغنون والموسيقيون شعروا بالحاجة إلى تغيير الأصوات والأنغام عن طريق اشتراك عدة مغنين في جوقة تتنوع فيها الألحان. وتعدد المغنين في غناء واحد حمل الشعراء على وضع مقطوعات متنوعة فكانت الموشحات المتعددة الأوزان والقوافي.

يتناول الوشاحون في كتاباتهم مواضيع كثيرة بدأت مع الغزل والخمر والمجون ووصف الطبيعة ثم انتقلت إلى المدح والزهد والتصوف. والواقع ان فن التوشيح لم يترك ميداناً من الميادين الشعرية المعروفة إلا وعالجه.

من أبرز الوشاحين الذين اشتهروا في ذلك العصر يوسف بن هارون الرمادي. كان شعره معروفاً عند العامة والخاصة. كذلك عبادة القزاز الذي كان شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية. وأشهر الوشاحين الذين طار صيتهم أيام الموحدين أبو بكر محمد بن زهر المعروف بالحفيد بن زهر وقد كان طبيباً وشاعراً ولقب بذي الوزارتين.

لانتشر فن التوشيح في المشرق بفضل الكثير من الوشاحين. لكن عند سقوط غرناطة انتهى أمر التوشيح في الأندلس واستمر في المشرق. ففي عصر النهضة استخدم سليمان البستاني هذا الفن في بعض مقاطع ألياذة هوميروس التي نقلها إلى العربية.

النثر الأندلسي

بدأت الكتابة في الأندلس خجولة ولم تعرف ذروتها إلا أواخر العصر الأموي وعصر ملوك الطوائف مع ابن شهيد وابن حزم. ارتفع شأن الرسائل التي ساعد على قيامها وتعزيزها اهتمام الوزراء والأمراء بها. فاستقل فن الرسائل عن الكتابة وعالج موضوعات من الحياة واعتمد الخيال في ابتكار الصور. واشتهر في فن الرسائل شعراء كثر، كابن زيدون وابن برد الأصغر ولسان الدين بن الخطيب. إهتم الكتاب بالتطبيق فلم يتركوا علماً أو فناً إلا بحثوا فيه، وكان لرحلاتهم إلى الشرق ورحلات المشرقيين إلى الأندلس واستقدام العلماء واستنساخ الكتب أثر كبير في بث النهضة الأدبية.

من مشاهير كتاب الأندلس الذين عالجوا الأغراض النثرية المتنوعة:

١ - ابن سعيد البلوطي

هو أبو الحكم المنذر بن سعيد بن عبدالله بن عبد الرحمن النغزي القرطبي. نزح قومه إلى الأندلس فأقاموا في فحص البلوط شمالي قرطبة وإليها نسبته البلوطي. ولد سنة ٢٧٣هـ (٨٨٦م). تلقى علومه الأولى في الأندلس ثم جال أقطار الحجاز ومصر وأخذ الكثير من علمائها في علوم الحديث والفقه والكلام واللغة. اشتهر في الأندلس كأديب وخطيب وشاعر وفقيه عالم مجتهد. عين قاضي الجماعة في قرطبة. توفي سنة ٣٥٥هـ (٩٦٦م) بالغاً من العمر اثنتين وثمانين سنة.

عرف البلوطي بعمق علمه وشمول ثقافته كما عرف بالخروج عن التقليد في الأحكام إلى مجال الاجتهاد الشخصي وتحكيم العقل ومراعاة الضمير مع تطلب العدل والتجرد والنزاهة. كان جريء الرأي صريح القول قوي الحجة لا تأخذه في نصره الحق لومة لائم. يلذع بنقده القضاة الكسالى والفقهاء الجاحدين ويجهز برأيه في حضرة الخليفة. ترك أبو سعيد البلوطي

عدة مؤلفات منها «الناسخ والمنسوخ» و«الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله» و«الإبانة عن حقائق أصول الديانة».

٢ - ابن أبي زمنين

هو محمد بن عبدالله بن عيسى المعروف بابن أبي زمنين من أئمة الأندلس. ولد سنة ٣٢٤هـ (٩٣٦م) وتوفي سنة ٣٩٩هـ (١٠٠٩م). ذكره السيوطي في كتاب «طبقات المفسرين» وقال: كان عارفاً بمذهب مالك بصيراً به ومن الراسخين في العلم متفنناً في الأدب والشعر متقناً لآثار السلف مع الزهد والنسك وصدق اللهجة والإقبال على الطاعة وله «من التصانيف المدونة» و«أحوال السنة» و«حياة القلوب».

٣ - أبو بكر الزبيدي

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدالله بن مذحج الزبيدي. ولد سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م). حصل النحو وعلوم اللغة والأدب وسارت شهرته فاختاره الحكم المستنصر لتأديب ولي عهده هشام المؤيد بالله فعلمه الحساب والعربية ونفعه نفعاً عظيماً ونال منه أبو بكر ثروة واسعة. كما تولى قضاء إشبيلية وخطبة الشرطة، وكانت وفاته بإشبيلية سنة ٣٧٩هـ (٩٨٩م). ترك مؤلفات عديدة منها طبقات النحويين واللغويين ولحن العامة، الواضح، الأبنية، ومختصر العين.

٤ - أبو علي القالي

هو أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان المعروف بأبي علي القالي. ولد سنة ٢٨٨هـ (٩٠١م) في منازلجرد من منطقة ديار بكر وفيها نشأ. تتلمذ على يد أكابر علمائها كابن دريد ونفطويه وأبي بكر بن السراج وأبي إسحق الزجاج وأبي الحسن الأخفش، وغيرهم حتى غدا أشهر علمائها. اتصل بعبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله في قرطبة فأكرمه الخليفة وبالح في إعلاء شأنه وحق به أدباء قرطبة وعلماءها. توفي سنة ٣٥٦هـ (٩٦٧م) في خلافة الحكم المستنصر.

ترك أبو علي القالي مؤلفات كثيرة منها كتاب النوادر وكتاب الأمثال وكتاب البارع وكتاب الإبل ونتاجها، كتاب فعلت وأفعلت وكتاب تفسير السبع الطوال.

٥ - ابن خروف

هو أبو الحسن علي بن محمد بن خروف الإشبيلي. نحوي، لغوي من علماء الأندلس. كان ضيق ذات اليد يشتغل بالخياطة. لم يتخذ بلداً موطناً بل كان يتنقل في البلاد طلباً للتجارة حتى توفي في إشبيلية سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩م). ترك مصنفات لغوية منها كتاب شرح سيبويه وكتاب شرح الجمل.

٦ - ابن حيان

هو أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان، مولى عبد الرحمن الداخل، من أهل قرطبة. ولد سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧م) وترك كتابين شهيرين: كتاب المبين وكتاب المقتبس في تاريخ الأندلس. يعتبر من أهم مصادر التاريخ الأندلسي وهو المؤرخ الرسمي للدولة المروانية. توفي سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦م).

٧ - ابن صاعد الأندلسي

هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد التغلبي القرطبي ويعرف بالقاضي صاعد وبصاعد المالقي، فقيه عالم فلكي ومؤرخ أندلسي ولد بالمرية سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩م) عينه المأمون بن ذي النون على قضاء طليطلة حتى وفاته فيها سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠م). ترك عدة مؤلفات أشهرها كتاب طبقات الأمم، كتاب جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم، وكتاب صوان الحكم في طبقات الحكماء، ومقالات أهل الملل والنحل.

٨ - ابن بشكوال

هو أبو القاسم خلف بن عبدالله بن بشكوال الخزرجي الأنصاري

القرطبي. كان من علماء الأندلس ومؤرخيها. ولد سنة ٤٩٤هـ (١١٠١م) بقرطبة وتوفي سنة ٥٧٨هـ (١١٨٣م) ولي القضاء مدة ثم انصرف إلى التأليف في السير والتاريخ والحديث والتقوى إلى أن بلغت مؤلفاته نحو الخمسين أنالته شهرة واسعة. أشهر مؤلفاته كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وكتاب الغوامض والمبهمات وكتاب رواة الموطأ.

٩ - ابن خاقان

هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان القيسي الإشبيلي، أديب وشاعر كاتب ومؤرخ عرف بغزارة مادته وسعة معرفته وقوة بلاغته، كما عرف بسوء سيرته وفساد أخلاقه وبذاءة لسانه. قتل ذبحاً في مدينة مراكش سنة ٥٢٩هـ (١١٣٤م). اشتهر ابن خاقان بكتابين في التراجم والمنتخبات الأدبية: «قلائد العقيان» و«مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ذيل شعراء الأندلس».

١٠ - ابن جبير

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى البلبسية رحالة شهير وأديب شاعر. ولد ببلنسة سنة ٥٤٠هـ (١١٤٥م). ثم انتقل إلى شاطبة موطنه الأصلي فدرس اللغة والأدب والفقه وغداً أديباً مشهوراً وشاعراً مجيداً. توفي في الإسكندرية سنة ٦١٤هـ (١٢١٧م). يعد كتابه «رحلة ابن جبير» من المصادر المهمة فهو جزيل الفائدة في جغرافية البلدان التي زارها وقد أفاد منه كثيراً الجغرافيون والمؤرخون حيث وجدوا فيه مصدراً صالحاً لذلك التاريخ.

١١ - ابن سعيد المغربي

هو أبو الحسن نور الدين علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد الغرناطي. أديب، شاعر، رحالة، جغرافي ومؤرخ. ولد بقلعة يحصب في رمضان ٦١٠هـ (١٢١٤م). توفي سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٦م) وقد أفاض المؤرخون بعلمه ولا سيما المقرئ في كتابه «نفح الطيب». ترك ابن سعيد عدة مؤلفات منها المغرب في حلى المغرب، رايات المبرزين المشرق في

حلى المشرق، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، النفحة المسكية في الرحلة المكية.

١٢ - ابن بسام الشنتريني

هو أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني من أدباء الأندلس المشهورين توفي سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧م) من أشهر مؤلفاته «كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» الذي يعد من الأصول الأندلسية التي يعتمد عليها في الكلام على الأدب المغربي. والسبب في تصنيفه هذا الكتاب هو أنه رأى أهل الأندلس صرفوا اهتمامهم إلى أدب المشاركة فغاضه منهم ذلك فأخذ يجمع ما وجد من حسنات دهره. قال في المقدمة: إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل الشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا حتماً وتلوا ذلك كتاباً محكماً.

١٣ - ابن عصفور

هو أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور. لغوي، نحوي وشاعر. ولد سنة ٥٩٧هـ (١٢٠٠م) أخذ عن أبي الحسن الدباج ثم عن أبي علي الشلوين فختم عليه كتاب سيبويه. كان أصبر الناس على المطالعة وقد أقرأ بإشبيلية وشريش ومالقة ولورقة ومرسية، وكانت وفاته في توسن سنة ٦٦٩هـ (١٢٧١م). من تصانيفه كتاب الممتع، كتاب المفتاح، كتاب الهلال، كتاب الأزهار، مختصر الغرة، شرح المتنبي، سرقات الشعراء.

أقطاب الحركة الفلسفية الأندلسية

١ - ابن مسرة

هو محمد بن عبدالله بن مسرة الملقب بالجبلي من أبناء قرطبة. اشتهر بالتقوى والزهد والفضيلة. توفي سنة ٣١٩هـ (٩٣١م). لم يصلنا أي من الكتب التي وضعها، والسبب يعود لاستباحة حرقها. وقد وصلنا اسم مؤلفين فقط: كتاب التبصرة وكتاب الحروف.

تقول فلسفة ابن مسرة بأن الواحد بسيط ومنزه وعنه صدرت المخلوقات وهي على درجات في الرتبة، ويدعوها الجواهر الخمسة. فعن الله عز وجل، وهو الوحدة المطلقة والمادة الأولى، صدر العقل الذي منحه الله العلم الكلي. انتشرت تعاليم ابن مسرة في الأندلس وأقبل عليها الدارسون وكانت هذه التعاليم بداية التحرك الفلسفي في الأندلس.

٢ - ابن حزم

هو أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، أشهر ممثلي الثقافة العربية الأندلسية، ولد في قرطبة سنة ٣٨٤هـ (٩٩٤م). شهد انهيار الدولة الأموية وقاسى من تقلبات السياسة فاعتزل عمله السياسي كوزير وتفرغ للتأليف. في هذه المرحلة بدأت حياته الثقافية المثمرة درساً وجدلاً وتأليفاً في مختلف نواحي الفكر البشري، من الفقه والحديث إلى المنطق والفلسفة والكلام، إلى تاريخ الديانات في عقائدها وبدعها، إلى التاريخ والأدب والشعر والخطابة. توفي سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٤م).

ترك ابن حزم مؤلفات عديدة ككتاب «المحلى بالآثار في شرح المجلى باختصار» وكتاب «الأحكام في أصول الأحكام» وكتاب «الإيصال إلى فهم الخصال». ومن آثاره في الجدل والتاريخ كتاب «الفصل في الملل والأهواء

والنحل» وكتاب «جمهرة الأنساب». أما في الأدب النفسي فله كتاب «طوق الحمامة في الألفة والآلاف».

٣ - ابن عربي

هو الشيخ محي الدين أبو بكر الطائفي المعروف بابن عربي أعظم متصوفة الأندلس. ولد بمرسية سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٣ م) نزح إلى المشرق وبقي فيها حتى وفاته سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م). من مصنفاته المعروفة كتاب فصوص الحكم والفتوحات المكية والتدبيرات الإلهية.

٤ - ابن باجه

هو أبي بكر محمد بن يحيى بن الصائغ التجيبي السرقسطي المعروف بابن باجه. وهو من مشاهير الفلاسفة العرب في الأندلس. انصرف إلى السياسة والعلوم الطبيعية والفلك والرياضيات والموسيقى والشعر والفلسفة والطب، وبرز في الطب بنوع خاص حتى أثار حفيظة زملائه فدسوا له السم فتوفي في فاس بالمغرب سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م). لم يصلنا من مؤلفاته إلا رسالة اتصال الإنسان بالعقل الفعال وكتاب تدبير المتوحد. يدل هذان المؤلفان بوضوح على الطابع الإشراقي الذي تتصف به فلسفة ابن باجه، فقد ذهب إلى أن أسمى مراتب المعرفة هي مرتبة النظر المجرد التي يبلغها المرء عن طريق الاتصال بالعقل الفعال ومطالعة المعقولات المجردة.

٥ - ابن طفيل

هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد طفيل القيسي فيلسوف وعالم أندلسي مشهور، ولد سنة ٥٠٤ هـ (١١١٠ م) في مدينة وادي آش الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة غرناطة. قرأ كل أقسام الحكمة على علماء زمانه حتى صار من أكابر الحكماء وعلى اطلاع واسع بالفلك والرياضيات والطب والشعر وأسلوبه الرشيق. توفي سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م).

ذكر لسان الدين بن الخطيب أن ابن طفيل وضع كتابين في الطب، وذكر الغزيري أن لابن طفيل قصيدة طبية محفوظة في مكتبة الأسكوريال. لم يصلنا من آثار ابن طفيل الفلسفية إلا كتاب «حي بن يقظان» وهو قصة فلسفية يقول فيها أن حي بن يقظان ولد في جزيرة هندية تحت خط الاستواء ونشأ منعزلاً عن الناس في كنف ظبية ربه فاغتنى بلبنها وتدرج في المشي وما زال يحكي أصوات الظباء وسائر الحيوانات ويهتدي إلى أفعالها حتى كبر وترعرع واستطاع بالملاحظة والفكر والتأمل أن يحصل على غذائه وأن يكشف بنفسه مذهباً فلسفياً يوضح به سائر حقائق الطبيعة. إن المذهب الذي توصل إليه ابن طفيل في قصته هو المذهب العقلي، فهو يعتقد أن في وسع الإنسان أن يرتقي بنفسه من المحسوس إلى المعقول ويصل بقواه إلى معرفة الإله والعالم.

٦ - ابن رشد

ولد القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد في قرطبة سنة ٥٢٠هـ (١١٢٦م). درس الكلام والفقه والأدب وألف في هذه العلوم. أما الطب فترك فيه تأليف كثيرة، كما كان يتمتع بمكانة رفيعة بين الأطباء. توفي في أواخر سنة ١١٩٨م في مراكش. ترك عدداً كبيراً من المؤلفات أهمها: رسالة التوحيد والفلسفة، جوامع ما بعد الطبيعة، الخطابة لأرسطو، تلخيص كتاب الأخلاق والبرهان لأرسطو، مقالة في حركة الفلك، شرح كتب جالينوس الطبية. . . .

تكمن أهمية ابن رشد الموقف الواضح والجريء الذي وقفه من الفارابي وابن سينا وعلى تجرده في بسط مذهب أرسطو ونصرته بحيث عرف في الأواسط الفلسفية في الغرب اللاتيني في القرن الثالث عشر باسم الشارح.

٧ - ابن عباد الرندي

هو أبو عبدالله محمد بن أبي إسحق إبراهيم بن أبي بكر بن عباد الرندي نسبة إلى مدينة رندة بالأندلس. من أشهر متصوفي الأندلس علماً وعملاً وإرشاداً. ولد في رندة سنة ٧٣٣هـ (١٣٣٣م). تلقى تربية روحية

صحيحة فحفظ القرآن الكريم بعناية أبيه وتلقى أصول العربية على يد خاله وطلب العلم حتى برع فيه . توفي في رجب سنة ٧٩٢هـ (١٣٩٠م) .

أجمع المؤرخون على أن ابن عباد الرندي كان فقيهاً خطيباً خاشعاً عفيفاً يحب الطيوب والبخور ويخدم نفسه بنفسه ، لم يتزوج ولم يملك أمة ، عاش حياة البتولية مسيطراً على الإغراءات المادية المتنوعة . ترك ابن عباد الرندي مصنفات كثيرة أهمها «غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية» و«الرسائل الكبرى» و«الرسائل الصغرى» .

نماذج

من الشجر الإنديسي

أبو بكر بن زهير

يا له سكران؟	من سكره لا يفيق؟	ما للموَلَّه
يُتدب الأوطان؟	ما للكثير المشوق	من غير خمرا
وليالينا؟	أيامنا بالخليج،	هل تُستعاذ
مِسْكُ دارينا	من النسيم الأريج،	إذ يُستفاد
أن يحيينا؟	حسنُ المكانِ البهيج	وإذ يكاذ
مُورِقُ الأفنان	دوَحٌ عليه أنيق	نهرٌ أطلَّه
من جنى الرِّيحان	وعائِمٌ وغريقٌ	والماءُ يجري،
ما كان أحلى	يُحيي لنا بالغُروس	أو هل أديب
فاسقني واملا	وصافيات الكؤوس	مع الحبيب،
عندما تجلى	وَمَنزَلةُ العروس	عيشٌ يطيب،
كالذي قد كان	يعودُ منه فريق	عيش لعلَّه
هذه الألحان	تحدو به وتسوق	أضغاثُ فكر



أقصرا شيئاً!	إلى متى تعذلاني!	يا صاحبيّاً
ميثٌ حيا!	والمبتلى بالغواني	قد مِتُّ حيا!
عاطِرٌ ريا!	عذب اللمى والمعاني،	جنى عليا
سائر الغزلان	غزال إنس يفوق	هلال كِلَّه،
أو إلى السلوان!	هل لي إليه طريق	يا ليت شعري

ابن هشام القرطبي

متنزهات قرطبة

وأنت إليّ على بُعد تُحييني
جناحها بين خيريّ ونسرين
خلتُ النسيم إذا ما متُّ يُحييني
ما أصبحتُ من أليم الوجد تُبريني
من سرّكم خبراً بالوحي يُشفييني
لَمّا تنسّم في تلك الميادين
سكراً بما لستُ أجوه يُمتّيني
فقلت: قرّني من كان يُقصيني
مجرّ أذيالها والوجد يُغريني
قلبي وطرفي ولا سلوان يثنييني
يزال مثل اسمِه مُذبان يُبكيني
الدير فالعطف من بطحاء عبدون
حقّت بشطّئه ألفاف البساتين
وأنّ ما ليّ فيه كنزُ قارون
الراح نهباً ووضّل الحور والعين
وأنّ حظّي منها حظّ مغبون...

يا هبةً باكرتُ من نحو دارين
سرتُ على صفحات النهر ناشرة
ردّتُ إلى جسدي روح الحياة وما
لولا تنسّمها من نشر أرضكم
مرّتُ على عقدات الرمل حاملة
عرفتُ من عزفه ما لستُ أجهله
خلتُ الشمال شمولاً إذ سكرتُ بها
أهدتُ إليّ أريجاً من شمائلكم
فظلتُ الثمّ من تعظيم حَقّكم
مسارح كم بها سرّختُ من كمد
بين المصلّى إلى وادي العقيق وما
إلى الرصافة فالمزج النضير فوادي
قطر فسيح ونهر ما به كدّر
يا ليت لي عمر نوح في إقامتها
كلاهما كنتُ أفنيه على نشوات
وإنّما أسفي أنّي أهيمُ بها

ابن خفاجة

وصف الطبيعة

وكمامةٍ حَذَرَ الصِّباحُ قناعتها
في أبطَحِ رَضَعَتْ ثُغورُ أَقاجِه
نُثِرَتْ بِحَجَرِ الأرضِ فيه يدُ الصُّبا
فحللتُ حيثُ الماءُ صفحَةً ضاحِك
والريحُ تنفُضُ بُكْرَةً لِمَمِّ الرُّبى
مَتَقَسَّمُ الأَلحازِ بينَ محاسِنِ
وأراكِ سَمِعَ الهديلُ بفرعها
هَزَّتْ لَهْ أَعْطافُها ولربما



سَقِيًّا لِيومٍ قد أنختُ بِسَرَحَةٍ
سَكْرَى يُغْنِيها الحِمامُ فتنثني
يلهو فترفعُ للشَّبية رايةً
والروضُ وجَّةٌ أَزْهَرُ وَالظِّل
في حيثُ أَطربنا الحِمامُ عَشِيَّةً
واهتزَّ عطفُ الغصنِ من ذرْبِ بنا
فكأنه والحسنُ مقتِرُنْ به
في فِثْيَةٍ تسري فينصدعُ الدُّجى
كَرُمُوا فلا غيْثُ السَّجاجةِ مُخْلَفُ
من كلِّ أَزْهَرٍ لِلنَّعيمِ بوجْهِه

رَبًّا تَلْعَبُها الرِّياحُ فتلعبُ
طرباً ويسقيها الغمامُ فتشرب
فيه، ويَطْلُعُ لِلبَهارةِ كوكبُ
فَرِغْ أَسودُ والماءُ ثَغَرَ أَشْنَبُ
فشدا يُغْنينا الحِمامُ المَطْرَبُ
وافترَّ عن ثَغْرِ الهلالِ المَغْرَبُ
طوقَ على بُزْدِ الغمامةِ مُذْهَبُ
عنها، وتنزلُ بالجديبِ فيُخَصِّبُ
يوماً ولا يَزِقُّ اللطافةِ خُلْبُ
ماءُ يُرَقِّقه الشَّبابُ قَيْسُكُ

ابن زيدون

ذكرى ولادة

إني ذكرتكَ بالزهراء مشتاقا
وللنسيم اعتلالٌ في أصائله
والروض عن مائه الفضيّ مبتسمٌ
يومٌ كأيام لذاتٍ لنا انصرمتُ
نلهو بما يستميلُ العينَ من زهرٍ
كأن أعينَه إذ عاينتُ أرقبَ
وردٌ تألَّقَ في ضاحي منابته
سرى يُنافحه نيلوفرٌ عبقٌ
كلُّ بهيج لنا ذكرى تشوقنا
لو كان وفي المُنَى في جمعنا بكمُ
لا سكَّنَ الله قلباً عتقَ ذكركمُ
لو شاء حملي نسيمُ الريح حين هفا
يا علقِي الأخطرَ الأسنَى الحبيبَ إلى
كان التجاري بمخض الوُدِّ مُذْ زَمَنِ
فالآن أحمدَ ما كنّا لعهدكمُ

والأفق طَلَقَ ووجه الأرض قد راقا
كأنما رَقَّ لي فاعتلَّ إشفاقا
كما حَلَلَتْ عن اللَّبَاتِ أطواقا
بتنا لها حين نام الدهرُ سُراقا
جال الندى فيه حتى مال أعناقا
بكث لما بي فجال الدمع رقراقا
فازداد منه الضحى في العين إشراقا
وسنان نبّه منه الصبحُ أحداقا
إليك، لم يغدُ عنها الصدر أن ضاقا
لكان من أكرم الأيام أخلاقا
فلم يطرَ بجناح الشوق خفاقا
وفاكمُ بفتى أضناه ما لاقى
نفسى إذا ما اقتنى الأحبابَ أعلاقا
ميدانٌ أنس جرينا فيه أطلاقا
سلوئُكم وبقينا نحن عشاقا

المعتمد بن عباد

الأسريات

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً
تري بناتك في الأظمار جائعة
برزن نحوك للتسليم خاشعة
يطآن في الطين والأقدام حافية
أفطرت في العيد لا عادت مساءته
قد كان دهرك إن تأمره ممتثلاً
فساءك العيد في أغمات مأسورا
يغزلن للناس ما يملكن فطميراً
أبصارهن حسيرات مكاسيرا
كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
فكان فطرك للأكباد تفتطيرا
فردك الدهر منهياً ومأمورا



غريب بأرض المغربين أسير
وتندبه البيض الصوارم والقنا
مضى زمن والملك مستأنس به
أذل بني ماء السماء زمانهم
فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بمُنْبَتَةِ الزيتون مورثة العلا
بزاهرها السامي الذي جاده الحيا
ويلحظنا الزاهي وسعد سعدو،
تراه عسيراً لا يسيراً منأله
سبكي عليه منبر وسريز
وينهل دمع بينهن غزير
وأصبح منه اليوم وهو نفوز
وذل بني ماء السماء كبير
أمامي وخلفي روضة وغدير
تغني حمام أو ترن طيور
تشير الثريا نحونا ونشير
غَيورين والصبب المحب غيور
ألا كل ما شاء الإله يسير

ابن مرج الكحل

وصف الطبيعة

عَرَجَ بِمَنْعَرَجِ الْكُثِيبِ الْأَفْرِ
وَلْتَغْتَبِقْهَا قَهْوَةٌ ذَهَبِيَّةٌ
وَعَشِيَّةٌ كَمْ كُنْتُ أَقْرَبُ وَقْتَهَا
وَالْوُزُقُ تَشْدُو الْأَرَاكُةُ تَنْشِينِي
وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُفْضُضٍ وَمَذْهَبٍ
وَالنَّهْرُ مَرْقُومُ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَى
وَكَأَنَّهُ وَكَأَن خَضِرَةً شَطِئِهِ
نَهْرٌ يَهِيْمُ بِحَسَنِهِ مَنْ لَمْ يَهْمُ
مَا أَصْفَرُ وَجْهَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا
بَيْنَ الْفِرَاتِ وَبَيْنَ شَطِّ الْكَوْثَرِ
مَنْ رَاحَتِي أَخَوَى الْمَرَاشِفَ أَخَوِرِ
سَمَحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ بَعْدَ تَعَذُّرِ
وَالشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي قَمِيصِ أَصْفَرِ
وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْزَهْمٍ وَمُدْئِرِ
بِمَصْنَدِلٍ مِنْ زَهْرِهِ وَمَعْضَفِرِ
سَيْفٌ يُسَلُّ عَلَى بَسَاطِ أَخْضَرِ
وَيَجِيدُ فِيهِ الشَّعْرَ مَنْ لَمْ يَشْعُرِ
إِلَّا لِفُرْقَةٍ حَسَنَ ذَاكَ الْمَنْظَرِ

شمس الدين الكوفي

وصف الربيع

روح الزمان هو الربيع نبكّر
هذا الربيعُ يبيع من لذّاته
فافرخ به فلفرحةً بقدومه
والكون مبتهّج وخفّاق الصّبا
والغيّم يبكي والأقاحي باسم
والسرو إن عبث النسيم فهزّ
وكأنما المنصور في أثوابه
وترى البهّارَ كعاشقٍ متخوّف
والطلّ من فوق الرياض كأنه
وترى الرّبيّ بالسّور بين متوجّ
والوُزق بين مرجّع وموجّع
ومغرّد ومردّ ومعدّد

وانهض إلى اللذات غير منكر
أضاف ما تهوى، فأين المشتري
رفل الشقائق في القباء الأحمر
يحيي القلوب بنشره المتعطّر
لبكائه كتبسم المستبشر
أعطاف الغصون يمسّ ميسّ موقر
ألوانٌ ياقوت أنيق المنظر
متشوّق بادٍ بوجهٍ أصفر
دُرّ ثرنّ على بساطٍ أخضر
ومدّملج ومخلخل ومزّئر
ومفجّع ومسجّع في منبر
ومبدّد في الخدّ ماءً المخجّر

ابن زمرك

خمر وطبيعة

فاستيقظت في الدُّوح أجفانُ الزَّهَرِ
فاعتاضَ من طُلِّ الغمام بها دُرُزُ
يا حُسْنَ ما نظم النسيم وما نَثَرَ
شمساً تحلُّ من الزجاجاة في قمر
ترميه من شهبِ الحباب بها شرز
يقدر السراح لنا إذا الليلُ اعتكر
قد أزعشت في الكأس من ضعف الكِبَرِ
إذ كان يَدْخُرُ كنزها فيما ادخر
فأحالتها ذوبَ اللجين لمن نظر
خجلَ المريب يشوبه وجلُّ الحذر
من جواهرٍ لآلئ بهجته بهز
لو أوتيت منه المحاسن والغرر
متعاقبٌ مهما سقى وإذا نظر
فالطير تنشد في الغصون بلا وتر
وفدُ الأحبة قادمين من السفر
وجناتهنَّ الوردُ حسناً عن خَفَرُ
بلواحظ دمعُ الندى منها انهمر
درعُ الغدير مصفقا فيه صدر
متكسراً من فوقها مهما عثر
فيها لأرباب البصائر مُعْتَبَرُ
من منهما فتنُّ القلوب ومن سَحَرُ . . .

هَبَّ النسيمُ على الرياض مع السَحَرِ
ورمى القضيب دراهماً من تَوَرِهِ
نثر الأزاهر بعدما نظم الندى
ثم هاتها والجو أزهَرُ باسمِ
إن شجَّها بالماء كفٌ مديرها
ناريةٌ نوريةٌ من ضوئها
لم يبق منها الدهرُ إلا صبغة
من عهد كسرى لم يُقَضَّ ختامها
كانت مُذابِ التبر فيما قد مضى
محمرةٌ مصفرةٌ قد أظهرت
من كف شفافٍ تجسَّدَ نوره
تهوى البدورُ كما له وتود أن
سُكِرَ الندامى من يديه ولحظه
حيث الهديل مع الهدير تناغيا
والغضبُ مالت للعناق كأنها
متلاعبان في الحُلِيِّ ينوبُ في
والنرجسُ المطلولُ يرنو نحوها
والنهر مصقولُ الحسام متى يرذ
يجري على الحصباء وهي جواهر
هل هذه أم روضةُ البشرى التي
لم أدر من شَغَفٍ بها وبهذه

لسان الدين بن الخطيب

جاءك الغيث

يا زمان الوصل بالأندلس
في الكرى أو خلصة المختلس
يُنْقَلُ الخطو على ما يرُسُّمُ
فثغور الزهر فيه تبسُّمُ
كيف يروي مالك عن أنس
يزدهي منه بأبهى ملبس
بالدجى لولا شמוש الغُرر
مستقيم السير سفد الأثر
أنه مرَّ كلمح البصر
هجم الصبح هجوم الحرس
أثرت فينا عيون النرجس
فيكون الروض قد مُكِّنَ فيه
أمنت من مكره ما تثقيه
وخلا كل خليل بأخيه
يكتسي من غيظه ما يكتسي
يسرق السمع بأذني فرس
وبقلبي سَكَنَ أنتم به
لا أبالي شَرْقُهُ من غربه
تُعْتَقُوا عَائِيكُمْ من كربه

جاءك الغيث إذا الغيث همى
لم يكن وصلك إلا حُلُما
إذ يقود الدهر أشتات المني
زُمرأً بين فرادى وثُلُنا
وروى النعمان عن ماء السما
فكساه الحسن ثوباً مُغَلِّما
في ليالٍ كتمت سرُّ الهوى
مال نجم الكأس فيها وهوى
وطر ما فيه من عيب سوى
حين لَدَّ الأنس شيئاً أو كما
غارَت الشهبُ بنا أو ربما
أي شيء لا مرى قد خلصا
تنهب الأزهار منه الفرصا
فإذا الماء تناجى والخصى
تبصر الوردة غيوراً برما
وترى الآس لبيباً فهما
يا أهيل الحَيِّ من وادي الغضا
ضاق عن وجدي بكم حبُّ الفضا
فاعيدوا عهد أنس قد مضى

أبو بكر بن عمّار

مدح المهتضر

أريد المدامة فالنسيم قد انبرى
والصبح قد أهدي لنا كافوره
والرمض كالخشنا كساه زهره
روض كأن النهر فيه مغمصم
وتهزه ريح الصبا فتخاله
ملك إذا ازدحم الملوك بمورد
قداح زئد المجد لا ينفك من
لا خلق أقرأ من شفار حسامه
أيقنت أني من ذراه بجئة
وعلمت حقاً أن ربي مخصب
من لا توازنه الجبال إذا اختبى
ملك يروك خلقه أو خلقه
وجهلت معنى الجود حتى زرت
يا أيها الملك الذي حاز العلا
السيف أفصح من زياد خطبة
شقيت بسيفك أمة لم تعتقد
أثمرت رُمحك من رؤوس ملوكهم
وصبغت درعك من دماء كُمايتهم
واليكها كالروض زارته الصبا
فلئن وجدت نسيم مدحي عاطراً

والنجم قد صرف العنان عن الشرى
لما استردّ الليل منا العنبرا
وشياً وقلّده نداء جوهرا
صاف أصل على رداء أخضرا
سيف ابن عباد يبدّد عسكرا
ونحاه لا يردون حتى يضدرا
نار الوغى إلا على نار القرى
إن كنت شبت المواكب أسطرا
لما سقاني من نداء الكوثر
لما سألت به الغمام الممطرا
من لا تسابقه الرياح إذا جرى
كالروض يخسّن منظراً أو مخبراً
فقرأته في راحتيه مفسراً
وحباه منه بمثل حمدي أنورا
في الحرب إن كانت يمينك منبرا
إلا اليهود وإن تسمت بربرا
لما رأيت الغصن يُعشق مثمرا
لما علمت الحسن يلبس أحمر
وحنا عليه الطل حتى نورا
فلقد وجدت نسيم برك أعطرا

أبو بكر بن اللبانة

مدح المهتمين

أنفض يديك من الدنيا وساكنها
وقل لعالمها السفلي قد كتمت
طوت مظلئها لا بل مدلتها
من كان بين الندى والبأس أنضله
رماه من حيث لم تستره سابغة
دروه ليثاً فخافوا منه عادية
لو كان يُفرج عنه بعض أونة
لهفي على آل عباد فإئتهم
راح الحيا وغدا منهم بمنزلة
أرض كأن على أقطارها سُرجاً
كأن واديها سلك بلبئتها
نهر شربت بعبريه على صور
وربما كنت أسمى للخليج به

فالأرض قد أقفرث والناس قد ماتوا
سريرة العالم العلوي أغمات
من لم تنزل فوقه للعز رايات
هئديئة وعطاياه هئيدات
دهر مصيباته نبل مصيبات
عذرتهم، فلعدو الليث عادات
قامت بدعوته حتى الجمادات
أهله ما لها في الأفق هالات
كانت لنا بكر فيها وروحاً
قد أوقدتهم بالأدهان أنبات
وغاية الحسن أسلاك ولبات
كانت لها في قبل الراح سورات
وفي الخليج لأهل الراح راحات...

ابن الأبار القضاعي

قصيدته إلى أبي زكريا ابن أبي حفص صاحب افريقيا

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمسث
يا للجزيرة أضحى أهلها جزراً
في كل شارقة الإمام بائقة
مدائن حلها الإشراك مبتسماً
محا محاسنها طاغ أتيح لها
صل حبلا أيها المولى الرحيم فما
وأخي ما طمست منها العداة كما
أيام صرت لنصر الحق مستبقاً
هذي رسائلها تدعوك عن كثب
يا أيها الملك المنصور أنت لها
وقد توارث الأنبياء أنك من
طهر بلادك منهم إنهم نجس
وأوطىء الفيلق الجزاز أرضهم
فاملاً هنيئاً لك التأييد ساحتها
واضرب لها موعداً بالفتح ترقبه

إن السبيل إلى منجاتها درسا
فلم يزل منك عز النصر ملتصا
للحادثات وأمسى جدها تعسا
يعود مأثمها عند العدى عرسا
جدلان، وارتحل الإيمان مبتئسا
ما نام عن هضمها حيناً ولا نعسا
أبقى المراس لها حبلاً ولا مرسا
أحييت من دعوة المهدي ما طمسا
دبت من نور ذاك الهدى مقتبسا
وأنت أفضل مزجو لمن يئسا...
علياء توسع أعداء الهدى تعسا
يحيي بقتل ملوك الصفر أندلسا
ولا طهارة ما لم تغسل النجسا
حتى يطاطىء رأساً كل من رأسا
جُرداً سلاهب أو خطيئة دعسا
لعل يوم الأعادي قد أتى وعسى

الفصل الثاني

عصر النهضة الفكرية

العوامل المؤثرة في عصر النهضة

تضافرت عوامل عديدة في تحقيق النهضة الفكرية في الشرق العربي الذي كان يخضع للسيطرة العثمانية. وكان لبنان جزءاً من هذه المنطقة، وإن كان يختلف عن بقية المناطق العربية بتمتعه بنوع من الاستقلال الذاتي في ظل المتصرفية. وكانت الأحداث التي تجري في إحدى تلك المناطق تؤثر بشكل أو بآخر على المناطق الأخرى، وعلى مختلف الصعيد. ولعل الحملة العسكرية التي قام بها نابليون بونابرت على مصر شكّلت الحافز الأهم لانطلاق النهضة الفكرية في مختلف المناطق العربية وخصوصاً في لبنان ومصر.

وساهمت عوامل مختلفة في تحقيق هذه النهضة، أبرزها:

١ - البيئة السياسية: في ظلّ حكمهم الاستبدادي الذي فرضوه على المناطق العربية، سعى العثمانيون دائماً إلى الهيمنة على مختلف مظاهر الحرية، وأهمها حرية التفكير والعمل السياسي. ونتيجة لذلك، طغى العنصر التركي على الوضع السياسي، وجُرد العرب من حقوقهم السياسية شيئاً فشيئاً، ممّا استدعى تحركات على خطوط مختلفة سعياً إلى إصلاح الأمور قبل أن تزيد تفاقمًا. وبرزت في هذا المجال أربعة اتجاهات:

- الأول: يدعو إلى جمع العرب تحت لواء الدولة العثمانية بعد وضع دستور جديد للبلاد يأخذ في الاعتبار حقوق المناطق العربية. وقد نجح هذا التيار في دفع الدولة العثمانية إلى إصدار مراسيم إصلاحية تبعتها دستور جديد وضعه والي عثماني يُدعى مدحت باشا الذي كان مصيره النفي على يد السلطان عبد الحميد الثاني، وتمّ تعليق العمل بدستور مدحت باشا.

- الثاني: تمثّل بتيار عنصري تركي عمد بعد وصوله إلى الحكم، إلى حصر المراكز العليا في الدولة بالأتراك، ودعا إلى تترك العرب وفرض اللغة

التركيّة عليهم كلغة رسميّة وحيدة، وحتى ترجمة القرآن إلى اللغة التركيّة. هذا التيار رفضه العرب وسعوا إلى مناوآته من خلال جمعيات، بعضها يعمل في السرّ، طالبت بالحقوق العربيّة المسلوبة.

- الثالث: كان اتجاهاً قومياً عربياً تمثل في عدد من الجمعيات التي تأسست في الداخل والخارج. وكان من أبرزها «رابطة الوطن العربي»، و «العربية الفتاة». وقد ضمت إحدى الجمعيات في بيروت الأديبين إبراهيم اليازجي ويعقوب صرّوف.

ويمكن تلخيص أهداف التيار الثالث بما يلي:

أ - تحقيق الاستقلال الكامل للبنان وسوريا.

ب - جعل اللغة العربيّة اللغة الرسميّة في المناطق العربيّة.

ج - إحقاق الحرّية في الفكر والمعتقد السياسي.

د - فتح أبواب العلم والثقافة أمام الجميع في المناطق العربيّة.

- الرابع: يدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلاميّة في الدولة والتقيّد بجميع أحكامها.

إن هذه التيارات الأربعة سيعمل كلّ منها بحسب الظروف التي توفّرت له، إلى أن تقع الحرب العالميّة الأولى، وينضمّ العثمانيون إليها، وينتهي بهم الأمر إلى الانسحاب من جميع المناطق العربيّة ودخول الحلفاء إلى بعضها. عندئذٍ، تغيّرت الاتجاهات السياسيّة مع تقاسم المنطقة بين الإنكليز والفرنسيّين.

٢ - البيئة الاجتماعيّة: خلال القرنين الأخيرين من الحكم العثماني (الثامن عشر والتاسع عشر)، كانت المناطق العربيّة تعيش المرحلة الأكثر تخلفاً في تاريخها. ويمكن اختصار ذلك بما يلي:

- سيطرة الإقطاعيّة على النواحي السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة والمعيشيّة.

- تطبيق سياسة الحكم المطلق من خلال الوالي التركي الحاكم .

- ضرائب مرتفعة وعشوائية .

- سيطرة الفساد في مختلف مرافق الدولة ودوائرها الحكومية .

- احتقار المرأة وسلبها حقوقها وحريتها .

٣ - البيئة الاقتصادية: كانت الحياة الاقتصادية في مختلف المناطق العربية ما تزال في طور البدائية، وخصوصاً في مجال الزراعة التي كانت تعتمد على الوسائل القديمة التي لا تستثمر الأرض كما يجب، ممّا يعني مواسم زراعية غير كافية. وكان المزارعون يعتمدون على مورد رزق آخر يتمثل في تربية الماشية والدواجن.

أما الصناعة فكانت بسيطة جداً وتعتمد على الحرف اليدوية التي كان معظمها متوارثاً أباً عن جدّ، من دون أن تطرأ عليها أيّ تطويرات على قاعدة العلم أو استخدام الآلة لتحقيق إنتاج أفضل.

وأما التجارة فكانت القطاع الوحيد الذي يشهد بعض الازدهار. لكنها كانت تتأثر سلباً بالأحداث الأمنية التي كانت تطرأ بين فترة وأخرى.

٤ - البيئة الفكرية: سبقت عصر النهضة مرحلة قاتمة عرفت بعصر الانحطاط. وعلى سبيل الحصر، كان الأدب قد فقد بريقه تماماً وأصبح مجرد كلمات منمّقة مزخرفة لا روح فيها ولا فكرة جديدة تطرح موضوعاً معاصراً أو معاناة إنسانية تلمّ بفئة معينة من الناس، وكم من معاناة عاشها الناس خلال تلك المرحلة، وخصوصاً خلال القرن الثامن عشر وجزء كبير من القرن التاسع عشر.

إن معظم ما كان ينظم من الشعر في ذلك كان صاحبه يطلقه في مناسبة معينة مقابل أجر يتقاضاه، كمدح أمير أو والٍ أو شيخ أو رجل غنيّ ما، وقد تكون المناسبة عرساً أو مأتماً أو أيّ مناسبة من تلك التي تكثر عند الأغنياء. وكلّ ذلك كان يتمّ في غياب أيّ نقد بناء يهدف إلى الإصلاح. ولا غرو في ذلك، فغياب الناقد المثقّف لمصلحة الناقد الذي يجري وراء منفعة مادية

معينة، أتاح لكل من صنف نفسه، أو تصنف، في فئة «شاعر»، أن يطلق لمخيلته الكسيحة العنان ويروح يرصف الكلمات رصفاً مشبعاً بالتزلف، وهو يظنّ نفسه مغموراً بعالم من الوحي غير متاح لسواه «...» فلا مصابيح عندنا بل حباحب»، على حدّ تعبير ميخائيل نعيمة، أحد أركان عصر النهضة في بداية القرن العشرين.

نموذج رثائي من مرحلة ما قبل النهضة

هوى ذلك البدر المنير لقطره	فمن بعد في العليا لا تنظر البدرا
فأصبح هذا الكون عادم ملكه	وأصبحت الخلآن لا تعرف الصبرا
فبالله نخ واندب هماماً مجدلاً	وشهماً له في صعقه الآية الكبرى
أديباً خطيباً مضجعاً متأنقاً	يساقط من فيه اللآلئ والذّرا
فوا حرقتي من ذكر أوصافه التي	تثير شجوني والبرايا بها أدرى

أما المدارس فكان وجودها قليلاً جداً، ويقتصر على بعض الأديرة والجوامع وساحات القرى (تحت السنديانة). فالأمية كانت متفشية بين أفراد الشعب، وسعيد الحظ كان من أتيح له قراءة مقاطع مختلفة من الكتب المقدسة، وكتابة اسمه وبعض العبارات الدارجة.

وإذا كانت المدارس قليلة، فإن المكتبات والكتب كانت شبه نادرة، والمكتبات الموجودة كان محتواها يقتصر على عدد قليل من المخطوطات. وقد امتدّت يد الجهل والظلم أكثر من مرّة لتنال من النتاج الفكري الموجود في هذه المكتبات. ففي عهد والي عكا أحمد باشا الجزّار أحرقت مجموعة من المخطوطات بعد إخراجها من مكتبة دير المخلص قرب صيدا.

إن هذه العوامل، مجتمعة أو فرادى، ساهمت في انحطاط المستويين الفكري والثقافي في لبنان. فمهوم الأمن والسياسة وتأمين لقمة العيش تضافرت لتصرف الإنسان اللبناني، فرداً ومجتمعاً، عن الاهتمام بالشؤون

الفكرية والثقافية، وفرضت عليه أن يقف على مسافة بعيدة عن الحرف والكتاب والمدرسة.

فكان لا بدّ من خلق حوافز جدّية وأدوات فاعلة تدفع عن اللبناني، والعربي بشكل عام، ظلمة الجهل وترفع عنهما عبوديّة الأميّة. وهذه الحوافز والأدوات كان بدىء بالتحضير لها خلال عهود مختلفة وترعرعت بمعظمها خارج لبنان لتعود إليه حاملة مشعل العلم وحرية المعرفة.

على الطريق

لم يعرف لبنان مرحلة من الاحتلال أصعب وأقسى من القرون الأربعة التي عاشها تحت وطأة الحكم العثماني، وذلك بسبب سياسة العزل التي اعتمدها العثمانيون للتضييق على الحكم الوطني في لبنان وإدخاله تحت الحكم المباشر للباب العالي. وقد جعلوا حكم الولايات المحيطة بلبنان في أيدي ولاية عثمانيين نفذوا «إخلاص» سياسة الدولة العلية، وعملوا بقدر استطاعتهم على مضايقة الجبل خلال العهدين المعني والشهابي، إلى أن انتهى الأمر بوضع اليد العثمانية على لبنان وإدخاله تحت حكم الأستانة المباشر.

والضغوط التي مارسها العثمانيون على لبنان شملت النواحي العسكرية والاقتصادية. وسعوا إلى القضاء على الوعي الاجتماعي والمستوى الثقافي عبر أجواء عدم الاستقرار التي كانوا يشيعونها في الإمارة اللبنانية، على الصعيدين الأمني والاقتصادي.

ورغم ذلك، قيّض الله للبنانيين أن ينعموا بمراحل مختلفة في الزمن من الاستقرار السياسي والأمني والاقتصادي، في عهود بعض الأمراء البارزين، مما ساعد في تنشيط الحركة الثقافية والعلمية في البلاد، تلك الحركة التي ستشكل أرضية مناسبة لنمو نهضة فكرية وطنية واجتماعية، في مرحلة لاحقة، سيكون لها دور أساسي في انطلاق عصر النهضة في مختلف المناطق العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر.

مدرسة روما المارونية

في العام ١٥٧٧، تلقى البطريرك الماروني مخايل الرزي رسالة من قداسة الباب غريغوريوس الثالث عشر تتعلق بإنشاء مدرسة خاصة للطلاب الموارنة في روما.

وفي عهد البطريرك الرّزي، دشّن البابا نفسه «مدرسة روما المارونيّة» سنة ١٥٨٤. وقبل إنشاء هذه المدرسة، كان الطلاب اللبنانيون المتفوّقون في مدارس الإرساليّات يرسلون إلى المدرسة الشرقيّة في روما لمتابعة دروسهم. وكانت مدرسة روما المارونيّة تعنى بتدريس اللاهوت، وقد بدأت باستقبال عشرين طالباً فقط.

وخرّجت هذه المدرسة عدداً مهمّاً من اللاهوتيّين الذين انضموا في الإكليروس الماروني، وتسلّموا مراكز في الكنيسة المارونيّة، ودأبوا على ضمّها إلى الكرسي الرسولي، واختار بعض هؤلاء نشر حضارة المسيحيّين الشرقيّين في بعض أنحاء أوروبا، وخصوصاً في فرنسا التي كانت تربطها بالموارنة علاقات حسنة.

وكان من أبرز الطلّاب الذين تخرّجوا من «مدرسة روما المارونيّة» وعملوا في ترجمة الآداب والفلسفات الغربيّة، وعلموا وخطّوا مؤلفات خاصّة ممهّدين للنهضة الفكرية التي بدأت ملامحها في أواخر القرن التاسع عشر: أولاً: العاملون في فرنسا

- جبرائيل الصهيوني (١٥٧٧ - ١٦٤٨): درّس اللغتين السريانيّة والعربيّة في روما، ثمّ انتقل إلى باريس حيث ترأّس دائرة اللغات الساميّة في «الكلية الملكيّة». ترجم التوراة إلى العربيّة والسريانيّة ولغات أخرى، كما ترجم كتباً أجنبيّة أخرى. وجمع قواعد اللغة العربيّة في كتاب يعتبر الأقدم في هذا المجال.

- حنا الحصري: ولد في حصرون. رافق زميله الصهيوني إلى باريس وعمل معه في «الكلية الملكيّة» وساعده في ترجمة بعض الكتب إلى اللاتينيّة.

- إبراهيم الحاقلي: ولد في حاقل (قضاء جبيل). نال دكتوراه مزدوجة في الفلسفة واللاهوت. عاد إلى لبنان وأمضى فيه أربع سنوات كمستشار ومرسل للأمير المعني فخر الدين الثاني. انتقل إلى إيطاليا حيث درّس اللغات الشرقيّة في جامعة بيزا، ثمّ إلى باريس حيث خلف جبرائيل الصهيوني في «الكلية الملكيّة». ترك نحواً من ٦٤ مؤلفاً في مجالات مختلفة، أبرزها

الكتب التي تناولت الليتورجيا (خدمة القداس) ومؤلف في قواعد اللغة السريانية .

ثانياً: العاملون في إيطاليا

- إسحق الشدراوي: عمل في تعليم اللغات الشرقية، وألف سنة ١٦١٨ كتاباً في قواعد السريانية جعله مبسطاً وفي متناول كل من يريد تعلّم اللغة . وفي العام ١٦٣٦ ، ألف كتاباً آخر في قواعد السريانية للذين يعرفون اللغة . وأصبح مرجعاً في السريانية للمستشرقين ولعاصريه من رواد اللغة . علّم اللغتين العربية والسريانية في أكاديمية ميلانو وأشرف على الجزء الشرقي من مكتبتها . ثم انتقل إلى فلورنسا فيزا حيث علّم اللغات الشرقية . بعد ذلك عُيّن مطراناً على أبرشية طرابلس .

- نصر الله شلق: نال الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت . علّم اللغتين العربية والسريانية في سبينزا بين ١٦١٠ و ١٦٣١ . وقام بالدور نفسه في مؤسسة القديس بطرس في مونتوريو . ألف قاموساً للغتين العربية واللاتينية ليستفيد منه طلابه في دراسة العربية وفهماها .

- يوسف السمعاني (١٦٨٧ - ١٧٦٨): ولد في طرابلس وسافر إلى روما وهو في الثانية عشرة من عمره، وبقي فيها حتى وفاته . اهتم بإجراء دراسات وأبحاث في اللغات الشرقية وخصوصاً السريانية والعبرية والفارسية وغيرها، وأنتجت هذه الأبحاث مؤلفاً دعاه «المكتبة الشرقية» لا يزال حتى اليوم مرجعاً في ما يتعلق بتاريخ الكنيسة في الشرق . أدخل إلى مكتبة الفاتيكان عدداً مهماً من المخطوطات الشرقية (٤٠٠ مخطوط) . عمل مؤرخاً لدى ملك نابولي وصقليّة، وألف كتاباً ضخماً في تاريخ مملكته . كتب مؤلفات عديدة تناولت قواعد بعض اللغات الشرقية، التاريخ، اللاهوت، والحقوق .

ثالثاً: في إسبانيا والبرتغال

- ميخائيل الغزيري (١٧١٠ - ١٧٩١): ولد في طرابلس، انتقل إلى إسبانيا سنة ١٧٥٠ بعدما أنهى دروسه في روما، وأصبح ناظراً في المكتبة

الملكيّة. وبعد عامين، أصبح عضواً في الأكاديمية الملكيّة للتاريخ بعدما عمل لفترة ترجماناً وأستاذاً للغات الشرقيّة. كُلف بوضع فهرسة للمخطوطات الشرقيّة الموجودة في المكتبة، فأنجز عمله في مجلدين خلال عشر سنوات.

رابعاً: في لبنان

- جرجس عميرة: من الطلاب القدامى في مدرسة روما المارونيّة. عاد إلى لبنان بعد إنهاء دراسته وتأليف كتاب في قواعد السريانيّة. وبعد انتخابه بطريركاً، أسهم في اعتماد التقويم اللاتيني للأعياد المسيحيّة وتطبيقه على الطقس الماروني.

- اسطفان الدويهي (١٦٣٠ - ١٧٠٤): ولد في إهدن، وانضمّ إلى مدرسة روما المارونيّة في الحادية عشرة من عمره، وأمضى فيها أربعة عشر عاماً، حيث درس اللغات الإيطاليّة واللاتينيّة واليونانيّة والفلسفة. وبعد عودته إلى لبنان، انصرف إلى الكتابة والتأليف. وقد نشرت مؤلفاته بعد نحو قرنين على وفاته. أبرزها: «تاريخ الطائفة المارونيّة» (١٨٩٠)، ومقتطف من «تاريخ الأزمنة» (١٩٥٠). وفي العام ١٦٧٠، ارتقى إلى سدة البطريركيّة المارونيّة، لكن عهده لم يكن هادئاً، واضطرّ مراراً، تحت وطأة الاضطهاد، للهرب من مقرّ البطريركيّة في دير مار قزحيا في قنوين. وقد نقل عنه المطران يوسف الدبس قوله عن عهده أنه «نال من البلاء وأصابه من الاضطهاد ما لا يمكن وصفه».

- جرمانوس فرحات (١٦٧٩ - ١٧٣٢): ولد في حلب (سوريا) وتلقّى علومه في مدرستها المارونيّة التي أسسها الأب طولاي، أحد الطلاب القدامى في مدرسة روما المارونيّة. تعلّم العربيّة والسريانيّة والإيطاليّة، ودرس الفلسفة واللاهوت. أسس في مدرسته جمعيّة أدبيّة ومكتبة غنيّة بالمخطوطات الشرقيّة. ألّف عدداً من الكتب في اللاهوت والليتورجيا والفلسفة والأدب والتاريخ والشعر وغيرها. وهو يُعتبر من رواد النهضة الأدبيّة العربيّة.

ومن الأسماء الأخرى البارزة التي تخرّج أصحابها من مدرسة روما المارونيّة، نذكر مرهج الباني، ابن أخ إبراهيم الحاقلي، يوسف لويس السمعاني، بطرس مبارك، أندراوس اسكندر، اسطفان السمعاني، وسركيس الرزي.

أسهمت مدرسة روما المارونية بالأعلام الذين تخرجوا منها في التحضير للنهضة الفكرية العربية، وخصوصاً اللبنانية، من خلال الإنتاج الغزير والقيم الذي تركه هؤلاء في مجال التأليف والترجمة، ممّا ساعد اللبنانيين على الاطلاع على حضارة الغرب وأفكاره، والغرف منها، وإخراج اللغة والأدب العربيين من القمم الذي حبسهما فيه الانغلاق والعزلة اللذان فرضهما النظام العثماني لتجويد الإنسان إلى المعرفة والعلم.

عهد فخر الدين

لعب الأمير فخر الدين الثاني دوراً بارزاً في تحريك عجلة الحياة الثقافية في لبنان، وخصوصاً بعدما رجع إليه من غربته القسرية في إيطاليا. فالاستقلال شبه التام الذي نعم به لبنان خلال عهده، ساعده على التطلّع نحو الغرب الأوروبي والتفاعل الحضاري معه عبر وجوه متعدّدة.

ففي العام ١٦١٠، دخلت أول مطبعة عرفها الشرق إلى لبنان، وكان مركزها في دير مار أنطونيوس قزحياً في الشمال، وقد اعتمدت الحرف السرياني.

وبنتيجة الاتفاقات التي عقدها فخر الدين مع فرنسا وإيطاليا، فتحت أمام اللبنانيين أبواب مختلفة لتحصيل الثقافة والعلم، مستفيدين بذلك من الامتيازات التي كانت يتمتع بها بعض الدول الأوروبية في لبنان، والتي منحها الباب العالي. يضاف إلى ذلك الدور الذي قامت به مدرسة روما المارونية في هذا المجال.

وقد شجّع الأمير المعني مجيء الإرساليات الأجنبية إلى لبنان، وبالتحديد الإرساليات الكاثوليكية. فجاء الآباء الكبوشيون الذين أسسوا في صيدا أول إرسالية أجنبية مسيحية في لبنان. ثم أقاموا فروعاً أخرى في كل من بيروت وإهدن وطرابلس. وقام الكبوشيون بمهمتين: فتح المدارس للبنانيين وتوسيع انتشار الديانة المسيحية في لبنان.

بعد ذلك، جاء الآباء الفرنسيون وأسسوا أول مركز لهم في بلدة إهدن. ومع هاتين الإرساليتين، بدأ انتشار اللغات الأجنبية في صفوف عامة

الناس وانفتحت أمام اللبنانيين مجالات التعرّف إلى الآداب الأجنبية والتفاعل حضارياً مع المبادئ الإنسانية السائدة في أوروبا، والتي كانت تدعو إلى تحقيق العدل والحرية والكرامة بين الناس.

عهد بشير الثاني

تابع الأمير الشهابي سياسة أسلافه في مجال تشجيع الثقافة والعلم في منطقة الجبل والمناطق التي كان يضمّها إلى إمارته في الفترات التي كان فيها سيف التسلط مرفوعاً عن رأسه. فتابعت الإرساليات الأجنبية مجيئها إلى لبنان وتأسيس أديرة ومدارس لها في مختلف المناطق. وكان أبرزها وصول أول مرسل أميركي إلى بيروت سنة ١٨٢٣، موفداً من قبل مجمع الإرساليات الأميركي. وكان يدعى بليني فسك. وقد بقي في لبنان حيث أسس أول إرسالية أميركية فيه، ودفن في مدفن الإرسالية بعدما أدركه الموت باكراً.

... وكانت النهضة الأدبية التي نشأت في لبنان عند مطلع القرن التاسع عشر عاملاً في تعزيز اسم «جبل لبنان» وإضفاء معنى جديد عليه. فأعطاه الشعراء الذين كانوا في بلاط الأمير بشير الثاني محتوى عاطفياً ووطنياً يشير إلى تبشير الوعي الوطني عند اللبنانيين. ومن ذلك أن ناصيف اليازجي في قصيدة له، دعا الأمير بشير بطور لبنان العظيم وشخصه. كما أنه في قصيدة أخرى أثنى على الأمير للمكانة التي احتلها لبنان في عهده، فقال:

ألبست لبنان الضياء كأنما جبريل فوق الطور منه نداء
أما نقولا الترك، وهو شاعر آخر من شعراء الأمير، فإنه شارك اليازجي إشارته إلى الأمير كدعامة لبنان، وقال في مدحه عند عودته منتصباً من إحدى المعارك في ١٨١٠:

هو السيد البشير الفتى الذي هو الركن فيه طود لبنان يعمر
وتابع فقال في قصيدته:

وشرف أوطاناً به طاب عيشها وأنشأ لها شأنًا إلى الدهر يدخر
التحول السياسي في تاريخ لبنان الحديث - إيليا حريق (ص ٢٨).

ثم نقل الأميركيون مطبعتهم التي أسسوها في مالطة إلى لبنان سنة ١٨٣٤، وكانت تطبع مؤلفات أو مخطوطات باللغة العربية.

وعلى صعيد المبادرات المحلية، تأسس في عهد الأمير بشير الثاني عدد من المدارس التي أسهمت في نشر العلم والثقافة بين اللبنانيين. وتحولت مدرسة عين ورقة التي كانت تدرّس اللاهوت إلى معهد على الطراز الأوروبي. وقد تخرّج منها عدد من المفكرين، أبرزهم: المطران يوسف الدبس (١٨٣٣ - ١٩٠٧) الذين أصدر عدداً من المؤلفات التي تناولت تاريخ لبنان والمنطقة (تاريخ سورية الديني والدنيوي)، والمعلم بطرس البستاني ورشيد الدحداح. وهذان الأخيران كانا من المقربين إلى الأمير الشهابي.

وبعدما توطدت علاقات الأمير بشير بالمصريين، أرسل عدداً من الطلاب اللبنانيين إلى مصر ليدرسوا الطب في القصر العيني الذي أسسه محمد علي على النمط الأوروبي.

وعندما دخل الجيش المصري إلى لبنان بقيادة إبراهيم باشا، أبقى القائد المصري على حرية عمل الإرساليات الأجنبية ضمن نطاق التعليم. فاستمرّ توافد هذه الإرساليات، بحيث لم تعد تقتصر على الكاثوليكية الآتية من إيطاليا وفرنسا، وإنّما جاءت إلى لبنان إرساليات بروتستانتية من ألمانيا وإنكلترا والولايات المتحدة الأميركية، وأورثوذكسية من روسيا. وأدى التنافس بينها إلى فوائد جمّة كانت لمصلحة اللبنانيين.

عهد القائمقاميتين

بعد نهاية الإمارة الشهابية، عاش لبنان فترة قاسية من الأحداث الدامية التي كانت سبباً في شلّ النشاط الثقافي في مختلف المناطق إلى حدّ بعيد، واستمرّ ذلك حتى بداية عهد المتصرفيّة. ولم تسجّل تلك الفترة سوى إنجازات قليلة، أهمها:

- معهد اللاهوت اليسوعي في غزير (١٨٤٦).
- مدارس داخلية وخارجية بدأت بإنشائها راهبات القديس يوسف ابتداء

من سنة ١٨٤٦ في عدد من المناطق، وخصوصاً في بيروت وصيدا وصور وحمانا.

مطبعة القديس جاورجيوس (١٨٤٧).

المطبعة الكاثوليكية (١٨٤٧).

مدرسة عبيه (١٨٤٨).

مطبعة عربيّة في دير طاميس في كسروان (١٨٥٥)، حيث تأسست في مطلع القرن التاسع عشر مطبعة سريانيّة.

عهد المتصرفيّة

مع بداية عهد المتصرفيّة، وعودة الهدوء والأمن إلى البلاد بشكل مقبول، عادت الحركة الثقافيّة لتنشط بشكل أكثر كثافة، حيث كان للمتصرّفين دور بارز في نشر العلوم والآداب وتشجيع فتح المدارس الخاصّة، من وطنيّة وأجنبيّة، وإنشاء المطابع لنشر الكتب والصحف والمجلّات.

وفي الوقت نفسه، استمرّ توافد الإرساليّات الأجنبيّة، وأولها كانت الإرساليّة الإنكليزيّة - السوريّة التي جاءت إلى لبنان سنة ١٨٦٠ وأسست مدارس عديدة توزّعت في بيروت وبعلبك وزحلة وشمّلان وعين زحلّتا وغيرها.

وفي العام ١٨٦٦، تأسست الجامعة الأميركيّة في بيروت، وعُرفت في البداية باسم الكليّة السوريّة الإنجيليّة. وفي العام نفسه، أسّس الأميركيّون مدارس في سوق الغرب وعبيه وطرابلس وصيدا وحاصبيا.

وكان الأوروبيّون يواظبون على تأسيس المراكز التربويّة في لبنان، وقد أسّس الفرنسيّون سنة ١٨٧٥، جامعة القديس يوسف في بيروت، أو الجامعة اليسوعيّة. وهي نفسها معهد اللاهوت اليسوعي الذي كان مركزه في غزير، فتمّ نقله إلى بيروت التي كانت حينئذٍ خارج حدود المتصرفيّة.

ويبدو أن هذا التهافت الأجنبي على لبنان قد أثار همّة العثمانيّين، أو غيرتهم، فأمرّوا بفتح عدد من المدارس «السلطانيّة» في كلّ من بيروت وطرابلس وصيدا.

وفي عهد المتصرفيّة، نشط العمل في مجال الصحافة، فأنشأ خليل الخوري صحيفة «حديقة الأخبار» سنة ١٨٥٨، ثم صدرت مجلة «الجنان» للمعلّم بطرس البستاني سنة ١٨٧٠. وفي السنة نفسها، أصدر الآباء اليسوعيون جريدة «البشير». وصدرت «لسان الحال» لخليل سركيس سنة ١٨٧٧، و«بيروت» لمحمد رشيد الدنا سنة ١٨٨٦.

ولمّا بدأت السياسة تتدخل في حرية العمل الصحفي، اضطرّ البعض إلى أن يقصد مصر حيث كانت الصحافة تتمتع بحريّة أكبر. فأسس كلّ من سليم وبشارة تقلا صحيفة «الأهرام» سنة ١٨٧٥، وهي لا تزال حتى اليوم من أهم الصحف المصريّة، وأصدر فارس نمر ويعقوب صرّوف «المقتطف» سنة ١٨٧٦، ثم «المقطم» سنة ١٨٨٨، وجرجي زيدان صحيفة «الهلّال» سنة ١٨٩٢، وإبراهيم اليازجي «الضياء» سنة ١٨٩٩.

وقد ساهمت هذه الحركة الصحافيّة الناشطة في نشر الأدب والشعر والثقافة وتوعية الحسّ الوطني والعمل على نبذ الأحقاد والتمسك بالحرية والعدالة، بالإضافة إلى الاهتمام بشؤون اللغة العربيّة وترسيخ قواعدها، وبعث روح جديدة فيها تأخذ في عين الاعتبار الاختراعات الحديثة الكثيرة والمفردات التي يجب إدخالها على اللغة، والمفردات التي يجب التخلي عنها بعدما فاتها الزمن.

المدارس الوطنيّة

إن النجاح الذي حقّقه مدارس الإرساليّات الأجنبيّة على صعيد التعليم والتثقيف، دفع بالبنانيين إلى إنشاء مدارسهم الوطنيّة الخاصة. وانتشرت المدارس في مختلف المناطق في ظلّ تنافس إيجابي بين مختلف الطوائف. وبعض هذه المدارس لا يزال قائماً حتى اليوم.

ومن أبرز المدارس التي ولدت خلال القرن التاسع عشر:

- مدارس في بكفيا ومحيطها أسستها رهبنة وطنيّة معروفة بجمعيّة المريميات، ابتداءً من العام ١٨٥٣.

... حمل الإكليروس معظم عبء التعليم، فهو الذي أنشأ المدارس، باستثناء ١٧ مدرسة أنشأتها الرهبانية اللبنانية البلدية وست مدارس أنشأتها الرهبانية اللبنانية الحلبية. وكانت أهم المدارس، أمثال عين ورقة ومار عبدا هرهرية ورومية وريفون تحت رقابة البطريرك المباشرة.

وكان الإكليروس يتلقى المساعدة في نشاطه التعليمي من بعض أبناء الطبقة الأرستقراطية وذلك بمنحه أحياناً قطعاً من الأرض. غير أن المساعدة الأوفر جاءت من القرويين أنفسهم. فكانوا يدعون الإكليريكيين، ولا سيما الرهبانية اللبنانية، لفتح المدارس في قراهم ويتبرعون بالامتلاكات التي غالباً ما كانت تكفي لإعالة معلّم تقدمه الرهبة لقاء هذه الامتلاكات. وإضافة إلى ذلك، كان معظم رجال الدين يهبون أملاكهم لصالح المدارس أو لفتح مدارس جديدة، كما يتضح من الوثائق التي تعود إلى تلك الفترة.

وباستثناء بعض المدارس الرئيسيّة، كانت المدارس كلها تعنى بتعليم الكتابة والقراءة والحساب والمبادئ الدينيّة بطريقة السؤال والجواب. وفي عين ورقة، ومار عبدا ورومية، وكفرحي وكفيفان جرى تعليم مختلف الموضوعات، من فن كتابة الخط إلى الأدب والمنطق والفلسفة واللاهوت واللغات الشرقية والأورويّة. على أن مجال العمل لم يكن فسيحاً أمام دارسي هذه الموضوعات إلا في سلك الكهنوت الذي أفاد من دراستهم العالية هذه. لذلك نجد أن معظم أحبار الكنيسة الذين لعبوا دوراً مهماً في حياة لبنان السياسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر هم من خريجي المدرسة المارونية في روما، أمثال البطريرك تيان، أو من عين ورقة.

التحوّل السياسي في تاريخ لبنان الحديث - إيليا حريق (ص ١٢٠ - ١٢١).

- المدرسة الوطنيّة للمعلّم بطرس البستاني، سنة ١٨٦٣.
- مدرسة البطريركيّة، سنة ١٨٦٥.
- مدرسة «الثلاثة أقمار» للبنات، سنة ١٨٧٠.
- مدرسة الحكمة التي أسسها مطران بيروت للموارنة يوسف الدّبس سنة ١٨٧٤.

مدرسة المقاصد الخيرية الإسلامية، سنة ١٨٨٠.

«الكلية الشرقية» في رحلة، سنة ١٨٩٨.

وقد درّست هذه المدارس، إلى جانب اللغة العربية، اللغتين الفرنسية والإنكليزية. وخرّجت عدداً كبيراً من المفكرين والأدباء والشعراء، وغيرهم ممّن برعوا في مجالات الطب والهندسة والمحاماة وغيرها.

الجمعيات

إلى جانب المدارس، تأسّس عدد من الجمعيات التي اهتمّت بالأدب والعلوم، ومن أبرزها «جمعية الآداب والعلوم» سنة ١٨٤٧. وقد أعيد تنظيمها بعد فترة واعترفت بها السلطات تحت تسمية «الجمعية العلمية السورية» سنة ١٨٦٨. وكان من أبرز أعضائها المعلم بطرس البستاني، حسين بيهم، ناصيف اليازجي، محمد أمين أرسلان وغيرهم. وأصدرت هذه الجمعية مجلة شهرية سُمّيت «مجموعة العلوم»، وقد اهتمّت بنشر المواضيع التي تتناول الأدب والعلوم المختلفة والشؤون الاقتصادية وغيرها.

وفي العام ١٨٥٠، أسّس الآباء اليسوعيون «الجمعية الشرقية».

المكتبات

قبل فتح الجامعات في لبنان، لم تكن فيه مكتبات؛ لأنه في غياب المطابع، لم تكن هناك كتب متوفرة سوى المخطوطات، وتلك كانت أسعارها مرتفعة ممّا أبعدّها عن أن تكون في متناول الجميع. وكانت هذه المخطوطات محصورة في الأديرة والجوامع.

وعند افتتاح الجامعة الأميركية وجامعة القديس يوسف في بيروت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أقامت كلّ واحدة منهما مكتبة مهمة لطلابها، ضمّت كتباً أجنبية ومخطوطات شرقية. ثم نشأت دار الكتب الوطنية.

وكانت المكتبات تحرص على ثروتها من الكتب وتحافظ عليها خوفاً من التلف أو أيدي اللصوص. ويقول فيليب حتي في «تاريخ لبنان»: «ويبدو

لك حرصهم على صيانتها من اللعنات التي يصبونها على من تخوله نفسه سرقته. ولا يستنكفون أن يدونوا هذه اللعنات على الصفحة الأولى من الكتاب أو على جلده من الداخل».

أما الكتب التي كان يمكن شراؤها من السوق، فقد كانت موجودة في عدد محدود جداً من المكتبات، وكانت مخطوطات يقتصر مضمونها على مواضيع دينية وتاريخية ولغوية، بالإضافة إلى أقاصيص وأساطير عن بعض الشخصيات التاريخية. وفي المقابل، لم تكن الكتب الأجنبية موجودة بأعداد مقبولة، وإذا وجدت ترجمت لها، فإنها لم تبلغ المستوى المطلوب من الدقة والأمانة في النقل إلى اللغة العربية.

هذه الأمور كلها بدأت تتغير منذ أواخر القرن التاسع عشر، حيث كثرت المطابع والمكتبات العامة ومحلات بيع الكتب. وأصبحت المعرفة أكثر توفراً من ذي قبل.

جاء في الوصية التي تركها المطران جرمانوس فرحات، والتي وقف بموجبها كتبه على مكتبة مار الياس: «من أخذ كتاباً من هذه المكتبة ولم يرجعه، فليكن محروماً مسخوفاً عليه مردولاً من الله ومن حقارتنا، وليكن مقطوعاً من جسد الكنيسة المارونية، ويكون بيته مثل صادم وعامرة ويذهب رزقه وينهدم بيته ويشخذ أولاده من أبواب الخلائق...».

الترجمة

بعد اطلاع العاملين في النظام الفكري والثقافي على النتاج الغربي من الأدب والشعر بوجوههما المختلفة، عرفوا الفرق الشاسع الذي يبعد بين نتاج الفكر في الغرب الأوروبي والأميركي وبين العقم الذي كانت تعيش فيه مخيلة الفكر الشرقي العربي وأحلامه وطموحاته. عرفوا أن المقارنة بين الإثنين كالمقارنة بين عملاق وقزم.

لقد كان الشرق العربي منغلقاً على ذاته، بعيداً عما تخطه الأيادي

البیضاء من أفكار ومشاعر إنسانیة نبيلة، وذلك بسبب القيود التي فرضتها يد الاحتلال العثماني والظروف التي كان يعيشها الإنسان في لبنان ومحيطه ضمن إطارها والتي كانت تمنعه من الاتصال بالعلم ومعرفة ما يجري فيه.

ولما كان معظم الناس غير مهیّئين لاستيعاب اللغات الأجنبية، كالفرنسیة والإنكليزية، وجد المهتمّون بهذا الموضوع ضرورة ترجمة الروائع العربيّة، من شعر ونثر إلى اللغة العربيّة ليستطيع الإنسان العربي أن یطلع على هذه الأعمال ویسبر أغوارها، ويحرّر بالتالي فكره ومخیلته من القيود القاسية التي كانت تكبلهما وتمنعهما من الانطلاق إلى ما تصبو إليه روحه من معرفة الحق والخير والجمال.

وقد نشأت على هذا الأساس حركة ترجمة واسعة في لبنان ومصر، وحتى في أوروبا وأمیركا. وكان معظم العاملين في هذا المجال من اللبنانيين. والمواضيع التي كانت تترجم إلى العربيّة شملت الأدب والشعر والقصة والمسرح، وحتى بعض المواد التي كانت تدرّس في الجامعات كالهندسة والطب والعلوم.

ولقد لعبت صحيفة «المقتطف» لصاحبها یعقوب صرّوف وفارس نمر دوراً بارزاً في تعميم المواضيع المترجمة ذات الاتجاهات الأدبیة والعلمیة المختلفة. وقامت مجلة «الراوي» لصاحبها طانیوس عبّو بترجمة العديد من القصص.

ونقلت إلى العربيّة أعمال كثيرة للإنكليزي ولیم شكسبير والفرنسي مولیر. وبرز الأديب سلیمان البستاني في تعريب «ألياذة» هوميروس وتعريف العالم العربي على فنّ الملحمة.

وأدخل مارون النقاش فنّ المسرح الذي تعرّف عليه في إيطاليا وفرنسا. ولعبت الحركات والجمعيات الفكریة والثقافیة في خارج لبنان دوراً مهماً في تشجيع الترجمة وتطبيقها فعلياً. وأبرز العاملين في هذا النطاق كانت «الرابطة القلمیة».

إن الإنجاز الذي حقّقه الترجمة في النهضة الفكریة العربيّة، وخصوصاً

اللبنانية، تمثل في تحرير الإنسان من الأفكار والأنماط والأساليب المتحجرة البالية وجعله ينظر إلى الأدب والشعر كعاملين يعبران عن المشاعر الإنسانية بمختلف تياراتها الوطنية والعاطفية والتأملية والوجدانية وغيرها. فخرج الأدب العربي من سجن التقليد، وبرز إلى العالم طفلاً سليماً وجميلاً، لكنه يحتاج إلى رعاية تامة ومتواصلة لكي ينمو كما يجب ويخرج إلى العالم قوياً جديداً، ويلعب دوره في المجال الإنساني كاملاً ومتساوياً مع أدوار الآخرين.

... نحن في دور من رقينا الأدبي والاجتماعي قد تنبّهت فيه حاجات روحية كثيرة لم تكن نشعر بها من قبل احتكاكنا الحديث بالغرب. وليس عندنا من الأقلام والأدمغة ما يفي بسدّ هذه الحاجات. فلنترجم! ولنجلّ مقام المترجم لأنه واسطة تعارف بيننا وبين العائلة البشرية العظمى، ولأنه بكشفه لنا أسرار عقول كبيرة وقلوب كبيرة تسترها عنا غوامض اللغة، يرفعنا من محيط صغير محدود، نتمرّغ في حمائه، إلى محيط نرى منه العالم الأوسع، فنعيش بأفكار هذا العالم وآماله وأفراحه وأحزانه.

فلنترجم.

- ميخائيل نعيمة - الغربال (ص ١٢٦).

الاستشراق

المستشرقون هم مفكّرون غربيّون درسوا اللغات الشرقية، وخصوصاً العربية، واهتمّوا بأداب الشرق ولغات دياناته وتقاليده... وقد نشط عمل هؤلاء خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقاموا بأعمال متعدّدة ساهمت بفعالية في النهضة الفكرية في لبنان والمناطق العربية. وكانوا في معظمهم من الأوروبيّين، وخصوصاً الألمان والفرنسيّين والإنكليز. وأبرزهم من الألمان: وستفيلد، فيشر، وفون كريمر. ومن الفرنسيّين: كاترمايو ودي سلان ودي ساسي. ومن الإنكليز: نيكلسون ولان وبالمر. وأهمّ ما قام به هؤلاء يمكن تلخيصه على الشكل التالي:

جمع المخطوطات وتنظيمها في كتب مطبوعة، مبنية ومفهرسة .
تنظيم العديد من الكتب والمخطوطات باللغة العربية في مكتبات .
ترجمة العديد من الكتب العربية إلى لغات أجنبية مختلفة بهدف إطلاع
الغرب على التراث الفكري والأدبي في الشرق العربي .
وضع «دائرة المعارف الإسلامية» التي تضمّ في صفحاتها موضوعات
إسلامية مختلفة، في الأدب والفلسفة والتاريخ والعلوم وغيرها .

المسرح

بدأ المسرح فعلياً مع مارون النقاش، اللبناني الجنوبي، في أواسط
القرن التاسع عشر، حين بدأ بتقديم عدد من المسرحيات الغربية المترجمة
إلى اللغة العربية ومسرحيات أخرى من تأليفه .
في المرحلة الأولى، كان يقدم هذه الأعمال في ساحة منزله، ثم انتقل
في المرحلة التالية إلى مصر التي كانت تشهد تطوراً في فن التمثيل والتي
كانت تملك قدرات تخولها إقامة المسارح الكبيرة .
وقد أدى ازدهار الحركة المسرحية إلى توجه كتاب من لبنان والعالم
العربي إلى تأليف أعمال مسرحية من واقع الحياة الشرقية لكي تؤدي على
المسرح حيث الاتصال المباشر والأفضل مع الجمهور، خصوصاً إذا كانت
هذه المسرحيات تطرح معاناة الإنسان العربي وهمومه ومشاكله .

أبرز أعلام عصر النهضة

قامت النهضة الفكرية في الشرق العربي على أكتاف عدد قليل من الأدباء والشعراء والنقاد في لبنان والعالم العربي. وكان للبنان في هذا المجال دور بارز أذاه عدد من أبنائه في الداخل، وفي بعض الدول العربية، وفي المهجر. وكان المهجر الركن الأهم الذي نشط فيه اللبنانيون حيث قدموا الوجه الأفضل الذي أطلت به النهضة الفكرية في لبنان ومحيطه.

في لبنان

عمل عدد من أصحاب الأقلام المحليين من خلال تفاعلهم مع الحركة الثقافية التي عمّت معظم أرجاء لبنان، على تحريك الوضع الفكري في الداخل، وبث روح عصريّة جديدة، وقدموا نتاجاً فكرياً، في النشر والشعر والترجمة، كان له تأثيره في تحوّل مسار الأساليب الكتابية نحو التفاعل مع تطلّعات العصر ومواجهة مصاعبه والغرف من إنتاج الغرب الذي كان يعيش عصره الذهبي. ومن أبرز رواد النهضة الفكرية ممّن عملوا في لبنان:

- المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣): ولد في الدبّية وتلقّى علومه في مدرسة عين ورقة. ثمّ درس اللّغتين اليونانية والعبرية، وساعده ذلك في تعريب التوراة عن العبرية والإنجيل المقدّس عن اليونانية، وفي العمل كترجمان في القنصلية الأميركية في بيروت. أسّس «المدرسة الوطنية» في عبيه، وعمل في الصحافة، فأسّس «نفير سورية» سنة ١٨٦٠، ثمّ الصحيفة الأسبوعية «الجنتة» سنة ١٨٧٠، ثمّ مجلة نصف شهرية سمّاها «الجنان». وفي العام ١٨٧١ أصدر «الجنتية».

يعتبر البستاني من أبرز كتّاب عصره، علماً وإنتاجاً. فبالإضافة إلى المواضيع التي كان يكتبها لصحفه ومجلّاته، أصدر بعض المؤلفات المهمة،

أبرزها «دائرة المعارف» ومعجم «محيط المحيط» في مجلدين. وصدر قبله مصغّر عنه سمّاه «قطر المحيط». أمّا «دائرة المعارف» التي أصدر منها ستة أجزاء في حياته، فقد وسّعها نجله سليم ونسيبه سليمان البستاني وأضافا عليها خمسة مجلّدات أخرى. وألّف البستاني عدداً من الكتب المدرسيّة في اللغة والرياضيات وبدأ بترجمة «الموسوعة الإسلاميّة» إلى اللغة العربيّة. لكنه لم يتمكّن من إتمامها.

- ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١): من كفرشيمّا. بدأ حياته العملية كاتباً في بلاط الأمير بشير الثاني الشهابي حتى نهاية عهده سنة ١٨٤٠. ثمّ انتقل إلى بيروت. جمع بين كتابة النثر والشعر، بالإضافة إلى تضلّعه في اللغة العربيّة. من آثاره الكتابيّة «فصل الخطاب في أصول لغة الإعراب» (١٨٣٦)، «مجمع البحرين» (١٨٥٦)، وبدأ بشرح ديوان أبي الطيّب المتنبي، لكنه توفي قبل إتمامه فأنجزه ابنه إبراهيم سنة ١٨٨٢ وصدر تحت عنوان «العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب». ولناصيف اليازجي أيضاً كتب مدرسيّة مختلفة في الأدب واللغة والقواعد.

- إبراهيم اليازجي (١٨٤٧ - ١٩٠٦): بدأ حياته معلّماً في «المدرسة البطريركيّة» في بيروت، ثمّ قام بتصحيح الترجمة العربيّة للتوراة بتكليف من الآباء اليسوعيين. بعد ذلك، عمل في الصحافة ونشر أعمالاً رفيعة المستوى في الأدب واللغة.

- يوسف الأسير (١٨١٥ - ١٨٨٩): ولد في صيدا ودرس في الأزهر. شغل في بداية حياته مركز قاض في طرابلس، ثمّ عُيّن في عكا. وفي عهد المتصرفيّة، عينه داود باشا نائباً عاماً. درّس اللغة العربيّة في اسطنبول فالمدرسة البطريركيّة في بيروت، ثمّ في الكليّة السوريّة الإنجيليّة. عمل في الصحافة، فأصدر صحيفة «ثمرات الفنون» سنة ١٨٧٥.

- الأب لويس شيخو (١٨٥٩ - ١٩٢٨): تلقّى علومه في لبنان، ثمّ في أوروبا. وعاد بعد ذلك إلى بيروت حيث درّس اللغة العربيّة في جامعة القديس يوسف. عمل محرّراً في مجلّتي «المشرق» و«اليسوعيّة». والأخيرة كانت تُعنى بالأدب والعلوم والتاريخ وغيرها. كتب في الأدب والتاريخ عدداً

وافراً من المؤلفات. أبرزها «مجاني الأدب في حقائق العرب» و «بيروت، تاريخها وآثارها» و «شعراء النصرانية قبل الإسلام» وغيرها.

- يعقوب صرّوف (١٨٥٢ - ١٩٢٧): وُلد في بلدة الحدث (بيروت) وتوقّى في القاهرة. درس في «الكلية السورية الإنجيليّة» (الجامعة الأميركيّة)، وأتقن اللغتين العربية والإنكليزيّة مع بعض الإلمام باليونانيّة والفرنسيّة. أبدى ميلاً إلى العلوم والفلسفة، وعندما أنهى دروسه، عمل أستاذاً في العلوم الطبيعيّة والكيميائيّة لفترة طويلة، ثم أسّس مجلّة «المقتطف» مع فارس نمر سنة ١٨٦٧ في بيروت، ونقلها بعد فترة إلى مصر حيث أصدرها أيضاً صحيفة «المقطم». وقد اهتمّت «المقتطف» بنشر مواضيع فنيّة وعلميّة. ويقول صرّوف ونمر عن الحوافز التي دفعتهما إلى إصدار «المقتطف»: «كنا نأسف لأن لغتنا العربيّة خالية من جريدة تبسط فيها العلوم والفنون بسطاً يقرّبها من أفهام القراء، وتشر فيها خلاصة المكتشفات الجديدة، والتحقيقات المفيدة، شهراً بعد شهر، حتى يبقى أبناء المشرق جارين مع العلم في سيره الحثيث. وكان أصدقاؤنا الذين يعرفون وسائطنا يحثّوننا على القيام بهذا العمل الخطير، لحسن اعتقادهم به ولشدّة الحاجة إليه».

- فارس نمر (١٨٥٤ - ١٩٥٢): ولد في حاصبيّا. تلقّى علومه في إحدى مدارس صيدا، ثم في «الكلية السورية الإنجيليّة» حيث التقى صديقه يعقوب صرّوف الذي، كما ورد سابقاً، أسّس وإيّاها مجلّة «المقتطف» ثم جريدة «المقطم» في مصر. وقد أخذ على عاتقه في جلّ ما كتب في «المقطم» محاربة الفساد الذي كان يعيش في كلّ زاوية من زوايا الدولة العثمانيّة في ظلّ الحكم الاستبدادي للسلطان عبد الحميد الثاني، ممّا دفع العثمانيّين إلى الحكم عليه بالموت. لكنّه عاش عمراً مديداً.

- سليمان البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥): ولد في بكشتين (الشوف)، وتلقّى علومه في «المدرسة الوطنيّة» لبطرس البستاني، ثم أصبح معلّماً في المدرسة نفسها. عمل في الصحافة فشارك في تحرير «الجنان» و «الجنينة» لنسييه البستاني، وعاونه أيضاً في تأليف «دائرة المعارف».

أتقن لغات عديدة، كالعربيّة والتركيّة والفرنسيّة واليونانيّة وغيرها، وألّم

ببعض اللغات الأخرى، كالألمانية والإيطالية والإسبانية والروسية واللاتينية والعبرية والسريانية وغيرها.

وإلى جانب إسهامه في «دائرة المعارف» التي أصدر منها ثلاثة مجلدات، وضع ترجمة عربية لملحمة «اللياذة» الإغريقي هوميروس، وكتاباً بعنوان «عبرة وذكرى».

- خليل مطران (١٨٧٢ - ١٩٤٩): وُلد في بعلبك. درس في المدرسة البطريركية في زحلة، وتعلّم العربية وقواعد الشعر على الشيخ إبراهيم اليازجي. ثم بدأ ينظم الشعر موجّهاً اهتمامه نحو انتقاد مفاصد السلطان عبد الحميد وظلمه، وهذا ما أجبره على مغادرة لبنان إلى فرنسا، وكان لا يزال في الثامنة عشرة من عمره. وهناك، واصل توجّهاته السياسيّة المعارضة للعثمانيين. ثمّ انتقل إلى مصر حيث عمل في صحيفتي «الأهرام» و«المؤيد»، وأصدر «المجلة المصرية» و«الجوائب المصريّة».

وفي مجال الأدب قام بترجمة عدد من الأعمال المسرحيّة للكاتب البريطاني وليم شكسبير، أبرزها «هملت» و«عطيل» و«تاجر البندقية». وترجم أعمالاً مسرحيّة أخرى للفرنسي بيار كورني P. Corneille، منها «السيد» و«سيثا».

وفي الشعر، ترك مطران ديواناً من أربعة أجزاء «ديوان الخليل»، يضمّ موضوعات تتراوح بين النمط التقليدي القديم، كالمدح والرثاء، وبين المواضيع التجديديّة التي تطرح مسائل وطنيّة وإنسانيّة واجتماعيّة وجدائيّة. وقد خوّلت شهرته في نظم الشعر الحصول على لقب «شاعر القطرين» (مصر ولبنان)، وهو لقب انحصر به دون سواه.

- مارون عبّود (١٨٨٦ - ١٩٦٢): ولد في قرية عين كفاع (قضاء جبيل). بدأ دراسته في مدرسة القرية (تحت السنديانة حسب تسميته)، ثم التحق بمدرسة مار يوحنا في البترون، ومنها إلى بيروت حيث تابع دروسه في مدرسة «الحكمة».

وكان أهله، وخصوصاً جدّه الكاهن، يأملون في أن يصبح مارون كاهناً

أيضاً، لكن طموحاته كانت مختلفة. فبعد إنهاء دراسته، راح يمارس الصحافة والتعليم، حيث تنقل بين عدد من المدارس إلى أن استقرّ في «الجامعة الوطنية» في عاليه، فدرّس اللغة والأدب العربيين. وفي الوقت نفسه، كان ينشر مقالاته في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في لبنان.

تميّز بأسلوب بسيط ساخر وناقد، وكان غزير الإنتاج. ففي آثاره التي تزيد عن الخمسين كتاباً، كان قاصّاً أحياناً، وفي أحيان أخرى، كان ناقداً اجتماعياً أو سياسياً أو أدبياً.

من مؤلفاته: وجوه وحكايات، فارس آغا، صقر لبنان، أقزام وجبابرة، حبر على ورق، جدد وقدماء وغيرها. وله مؤلفات لم تنشر في حياته، منها «العجول المسمنة» و«المخدة».

- عمر فاخوري (١٨٩٥ - ١٩٤٦): وُلد في بيروت، ودرس في «الكلية العثمانية». اشترك في حركات سياسية مناوئة للحكم العثماني، أبرزها جمعية «العربية الفتاة». وعندما تشكّلت الحكومة العربية برئاسة الأمير فيصل في دمشق، كُلف بتحرير الجريدة الرسمية التي راحت تصدرها الحكومة.

درس الحقوق بين بيروت وباريس، ثم عمل في حقل اختصاصه وفي الصحافة، وأصدر عدداً من المؤلفات، أبرزها الباب المرصود، أديب في السوق، كيف ينهض العرب، الفصول الأربعة، وغيرها.

- يوسف السودا (١٨٨٩ - ١٩٦٨): ولد في بكفيا، ودرس الحقوق في بيروت وباريس وبرع في حقل المحاماة. وتميّز بمواقفه النضالية المطالبة بالاستقلال. وأصدر جريدة «الرأية» ثم عمل في المجال الدبلوماسي، وبعده الحقل السياسي فكان نائباً ووزيراً.

من أهمّ مؤلفاته: نظام لبنان السياسي، في سبيل لبنان، تاريخ لبنان الحضاري، بين القديم والحديث، فرنسا ولبنان، الأحرفيّة، وغيرها.

- الياس أبو شبكة (١٩٠٣ - ١٩٤٧): وُلد في بروفيدانس (الولايات المتحدة الأميركية) أثناء رحلة لوالديه اللذين انتقلا به إلى باريس، ثم إلى

زوق مكاييل، بلدته في قضاء كسروان. ربّته والدته وحيدة بعدما قُتل والده في السودان على أيدي بعض قطاع الطرق.

تلقى علومه في مدرسة عينطورة ثمّ في مدرسة الأخوة المريميين في جونبة فعينطورة مجدّداً. لكنه ترك المدرسة قبل أن يتمّ دروسه الثانوية.

استهوته مطالعة الشعراء الفرنسيين من مختلف المدارس الأدبية، ولا سيما أصحاب المذهب الرومنطقي الذي كان له تأثير كبير على المنحى الذي سلكه في شعره الذي بدأت طلائعه منذ كان بعد في المدرسة.

عمل في التعليم والصحافة من دون أن ينقطع عن كتابة الشعر. وكانت له محاولات ناضجة في الرسم نشرت في صحيفة «المعرض» خلال العامين (١٩٣٠ و ١٩٣١).

ورغم حياته القصيرة التي وضع سرطان الدم حداً لها، فقد ترك إنتاجاً غزيراً في الشعر والترجمة. وكانت له محاولات لا بأس بها في الأقصوصة، إلاّ أنها لم تبلغ المستوى الذي ارتقاه شعره.

ففي مجال الشعر ترك أبو شبكة «القيثارة»، «أفاعي الفردوس»، «الألحان» «نداء القلب»، «إلى الأبد»، و «غلاء».

وفي الترجمة، ترك آثاراً عديدة، أبرزها: جوسلين، الطبيب رغماً عنه، مريض الوهم، البخيل، سقوط ملاك وغيرها. وكلّها أعمال مسرحية مترجمة عن الكاتب الفرنسي موليير Molière.

ومن مؤلفاته الأخرى: «المجتمع الأفضل»، «لبنان في العالم»، «تلك آثارنا»، وفي القصّة له «العمال الصالحون».

- بولس سلامة (١٩٠٢ - ١٩٧٩): وُلد في بلدة بتّدين اللقش (قضاء جزين). درس في الجامعة اليسوعية في بيروت، حيث نال إجازة من معهد الحقوق فيها، ثم عمل محامياً فقاضياً؛ إلاّ أن المرض أقعده، فعانى منه طوال سبعة عشر عاماً خضع خلالها لأربع وعشرين عملية جراحية.

كتب في الشعر والنثر، وكان بارعاً في الإثنيين معاً، حيث تميّز أسلوبه

بالعذوبة والقوّة في آن واحد. ورغم مرضه، كان غزير الإنتاج، فنال سنة ١٩٦٩ جائزة رئيس الجمهوريّة شارل حلو التي منحت له لغزارة إنتاجه وجودته.

من آثاره الأدبيّة: عيد الغدير، مذكرات الجريح، حديث العشية، حكاية عمر، عيد الرياض، الصراع في الوجود، من شرفتي، الأمير بشير، تحت السديانة، وغيرها.

- أمين نخلة (١٩٠١ - ١٩٧٦): ولد في الباروك. والده أمير الزجل الشاعر رشيد بك نخلة، الذي نظم كلمات النشيد الوطني اللبناني، وقد تأثر الابن بوالده، فربي على حبّ الأدب والكلمة. نال إجازة في الحقوق ومارس المحاماة.

ترك في الشعر والنثر عدداً من المؤلفات القيّمة، أبرزها، في الشعر: دفتر الغزل، والديوان الجديد. وفي النثر: المفكرة الريفية، تحت قناطر أرسطو، كتاب الملوك، كتاب الدقائق في اللغة، كتاب المئة، وغيرها.

- أنيس فريحة: ولد سنة ١٩٠٢ في رأس المتن (قضاء بعبداء) وتلقّى علومه في الجامعة الأميركيّة في بيروت، ثم في إحدى جامعات ألمانيا. وانتقل بعدها إلى الولايات المتحدة الأميركيّة حيث نال إجازة في العلوم الساميّة من جامعة شيكاغو.

ركّز اهتمامه في أبحاثه على حضارات المنطقة، وخصوصاً تلك التي نشأت في لبنان ومحيطه. وقد درّس هذه الأبحاث في عدد من جامعات لبنان وألمانيا والولايات المتحدة.

من أهم مؤلفاته وأبحاثه: إسمع يا رضا، ملاحم وأساطير من أوغاريت، أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، الفكاهة عند العرب، سوانح، القرية اللبنانية حضارة في تاريخ الزوال، وغيرها.

- فؤاد سليمان (١٩١٢ - ١٩٥١): وُلد في بلدة فيع، عمل في التعليم، ثم في الصحافة حيث رأس تحرير مجلّة «صوت المرأة»، ودوّن مقالاته في الأدب والسياسة والاجتماع ونشرها تحت اسم مستعار «تمّوز»، وقد تميّزت بالجرأة.

إلا أن عمره القصير لم يتيح له الإنتاج الغزير، لكنه ترك أعمالاً بارزة، أهمّها: «درب القمر»، و «القناديل الحمراء»، و «تموزيات»، و «أغاني تموز».

- توفيق يوسف عواد (١٩١١ - ١٩٨٩): ولد في بحرصاف، أظهر ميلاً إلى الأدب منذ حداثة. عمل في السلك الدبلوماسي، فمثّل لبنان سفيراً في عدد من عواصم العالم، وكان في الوقت نفسه، يمارس الكتابة، مركّزاً على القصة النابعة من صميم الواقع اللبناني.

من أهمّ مؤلفاته: الرغبة، الصبيّ الأعرج، قميص الصوف، السائح، والترجمان، غبار الأيام، العذارى، قوافل الزمان، وغيرها.

سقط سنة ١٩٨٩ شهيداً في الحرب التي شهدتها لبنان، بعدما سقطت قذيفة مدفعية على ملجأ السفارة الإسبانية في بعبدا حيث كان ملتجئاً من القصف.

- سعيد عقل: من أدياء لبنان الكبار في الشعر والنثر. ولد سنة ١٩١٢ في زحلة، أبدى ميلاً إلى الأدب منذ حداثة سنّه. وبعد إنهاء دراسته، مارس التعليم والصحافة فتنقّل بين المدارس والجامعات والصحف، ملقياً محاضرات عديدة وناشراً مواضيع أدبية بين شعر ونثر.

يتميّز أدبه بعاطفة رقيقة خصّصها للوطن والمرأة في شكل عام. وساهمت مطالعته لأهمّ الآثار الأدبية العالمية في تعميق نظره الأدبية ونزعه الإنسانية والرمزية في الكتابة.

أبرز مؤلفاته في الشعر: بنت يفتاح، المجدلية، رندلي، أجمل منك؟ لا، أجراس الياسمين، دلزي، وقدموس. وفي النثر: لبنان إن حكى، كأس الخمر، وكتاب الورد، وله بالعامية «يارا».

وقد غنّي العديد من قصائده، وخصوصاً بصوت فيروز وألحان الأخوين رحباني.

- بشارة الخوري (١٨٨٥ - ١٩٦٨): وُلد في بيروت، وفيها تلقى علومه. أسّس صحيفة «البرق» في بيروت سنة ١٩٠٨، واستمرّت في العمل

حتى العام ١٩٣١، عندما أصدر الإنتداب الفرنسي قراراً بوقفها عن العمل، لما كانت تنشره من مقالات مناهضة للسلطات الفرنسية الحاكمة. شارك كعضو في «المجمع العلمي العربي» في دمشق.

تلقب بـ «الأخطل الصغير» وبويع بإمارة الشعر العربي بعد وفاة أمير الشعر السابق أحمد شوقي سنة ١٩٣٢.

ترك أثرين في الشعر، هما: «الهوى والشباب» و «شعر الأخطل الصغير».

تميّز أسلوبه بالزّقة والعذوبة، لا سيّما في أشعاره الغزليّة والوطنية، ممّا دفع بالعديد من الملحنين المصريين واللبنانيين، لا سيّما محمد عبد الوهاب والأخوين رحباني وفريد الأطرش، إلى تلحين العديد من قصائده التي غناها عبد الوهاب نفسه وفيروز وغيرهما.

- صلاح لبكي (١٩٠٦ - ١٩٥٥): ولد في ساوابولو - البرازيل، حيث كان والده صحافياً ومالك جريدتين، هما «الرقيب» و «المناظر». عادت عائلته إلى لبنان سنة ١٩٠٨ وأقامت في بسكنتا لسنوات، إلى أن حكم الأتراك على والده بالإعدام لنشاطه الاستقلالي، ممّا أجبره على الفرار والتواري عن الأنظار. تلقّى علومه في مدارس بعبدات وبسكنتا، ثم في مدرسة «الحكمة» في بيروت.

مات والده سنة ١٩٢٤، فتحمل صلاح مسؤولية إعالة إخوته. فمارس التعليم وعيّن مساعداً قضائياً، واستطاع متابعة تحصيله العلمي فنال إجازة في الحقوق.

مارس الصحافة في عدد من الصحف، أبرزها «الحديث»، «البشير»، «العمل» و «نداء الوطن».

توفي سنة ١٩٥٥، بعد معاناة مع المرض.

أبرز مؤلفاته: أرجوحة القمر، مواعيد، سأم، غرباء، من أعماق الجبل ولبنان الشاعر.

في خارج لبنان

تركّز نشاط الحركة الفكرية للأدباء اللبنانيين المهجرين في كلّ من الولايات المتحدة والبرازيل وفي مصر.

والحركة الأبرز تركّزت في الولايات المتحدة الأميركية، حيث اجتمع عدد من الكتاب الذين ساقتهُم أقدار وظروف مختلفة إلى العالم الجديد، بهدف تحصيل الرزق والعلم. وأتيح لهم هناك أن يطالعوا ويطلعوا على كنوز الأدب الغربي الراقي، والتي لا مجال لمقارنتها بتلك المركّبات اللفظية والإنشائية التي كان العالم العربي غارقاً فيها وهو يتبجّع. فكانت المقالات المدبجة والقصائد المنمقة الخالية من أي عاطفة إنسانية نبيلة تطلّ في كلّ يوم، من هنا وهناك، مستهدفة الكسب المادي الرخيص، ولا شيء أفضل من ذلك! فقصائد المدح والهجاء والرثاء والنواح كانت تصمّ أذان الإنسان العربي، في كلّ ساعة تكون فيها مناسبة فرح أو ترح.

تلك الحالة المزرية كانت موضع انتقاد بئاء تولاه بعض أقلام الأدباء المهجرين، لا سيّما جبران والريحاني ونعيمة الذي كان التزم النقد الأدبي في تلك المرحلة في بدايات القرن العشرين.

وفي هذا المجال، يقول نعيمة في مقاله بعنوان «الحباحب» (الغربال ص ٤٥ - ٤٧ - ٥١): «ليست المصيبة أن لا كتاب عندنا، بل المصيبة أن عندنا زمرة - والأصح جيشاً - من حملة الأقلام ومسوّدي الأوراق ندعوهم كتاباً ونقنع بما «يطربوننا» به كلّ يوم من التهاني والمراثي، والغزل، ظانين أن هذا هو جلّ ما وجدت الأقلام لأجله، وأن هذا هو محيط الدائرة التي يقدر الكتاب أن يجول ضمنها مهما كانت مواهبه... أيّ فكر جديد أودعه العقل العربي منذ خمسمائة سنة في خزانة الآداب العمومية فتداولته الألسن، وسهرت فوقه العقول؟... كم من الشباب الذين عندما يرون قصائدهم مدرجة في الجرائد ومشفوعة بنعوت من قلم محرّر الجريدة «قصيدة عامرة الأبيات من نظم الشاعر العصري المتفتّن فلان» يسكرون بخمرة الشهرة ويصبحون وهم يحلمون بمجد هوميروس وشكسبير وهينه إلخ، وهم ليسوا بين الشعراء إلّا من الطبقة الرابعة التي قيل فيها: «وشاعر من حقّه أن

تصفعه». أليس هذا الشعور قرحاً مخيفاً في جسم الأمة التي تطلب سمكة فيعطونها حية؟».

وفي ما يلي لمحة عن أركان النهضة الأدبية اللبنانيين في المهجر:

أولاً: في الولايات المتحدة

- الرابطة القلمية (١٩٢٠ - ١٩٣١): تأسست في الولايات المتحدة في ٢٠ نيسان ١٩٢٠ بفضل عصابة من الأدباء والشعراء اللبنانيين، والسوريين من الذين ربطت بينهم «ألفة أدبية وفنية وروحية» حسب تعبير مستشار الرابطة ميخائيل نعيمة.

وقد ضمت الرابطة عشرة أعضاء، هم إلى جانب نعيمة: جبران خليل جبران الذي انتخب عميداً للرابطة، إيليا أبو ماضي، رشيد أيوب، ندره حداد، وديع باحوط، الياس عطاالله، عبد المسيح حداد، نسيب عريضة، ووليم كاتسفليس الذي كان أميناً للصندوق، أو الخازن.

وقد لخص نعيمة الأهداف التي من أجلها نشأت الرابطة بما يلي:

- بث روح جديدة نشيطة في جسم الأدب العربي وانتشاله من وهدة الخمول والتقليد إلى حيث يصبح قوة فعالة في حياة الأمة.

- نشر مؤلفات عمال الرابطة ومؤلفات سواهم من كتاب العربيّة المستحقين، وترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية.

- منح جوائز مالية في الشعر والنثر والترجمة تشجيعاً للأدباء (جبران خليل جبران، صفحة ١٧٦).

وأخذ كتاب الرابطة ينشرون أعمالهم النثرية والشعرية في مجلة «السائح» التي كان يملكها عبد المسيح حداد، أحد أعضاء الرابطة.

وقد واجهت الرابطة حملات شتى «أنصار التقليد والجمود»، لكن ذلك كان يزيد أعضاءها تصميماً على إتمام واجبهم تجاه الأدب المشرق، وخصوصاً العربي، لإيقاظه من سباته العميق. إلا أن عمرها لن يكون طويلاً، لأن وفاة جبران، عميدها، في ١٠ نيسان ١٩٣١، وبعض أعضائها

الآخرين، وعودة نعيمة إلى لبنان سنة ١٩٣٢، وضعت حدّاً للرابطة كتّجَمع. أمّا آثار أدبائها فقد بقيت لتشكّل الأساس الصلب الذي قامت عليه ونهلت منه الحركة الفكرية في لبنان وجواره.

أضواء على أبرز أعضاء الرابطة من اللبنانيين

- جبران خليل جبران (١٨٨٣ - ١٩٣١): وُلد في بشرى من أب مدمن على الكحول وأمّ عاقلة، ذات إرادة صلبة. فوضعت نصب عينيها تأمين مستقبل أولادها الأربعة رغم الفقر الذي كان يضغط بمخالبه على الجميع. ولم يكد جبران يبلغ الحادية عشرة من العمر، حتى حملته والدته مع إخوته وهاجرت إلى الولايات المتحدة الأميركية واستقرّت في أحد أحياء بوسطن. وأدخل جبران إلى إحدى المدارس.

وبعد سنوات قليلة، عاد جبران إلى لبنان ليتعلّم اللغة العربية، فالتحق بمدرسة الحكمة وبقي فيها أربع سنوات أتقن خلالها العربية والفرنسية. ثم عاد إلى بوسطن حيث واجهته الحياة بموت أفراد عائلته، الواحد تلو الآخر، بسبب المرض. فماتت أخته سلطنة ثم أخوه بطرس، فوالدته كاملة. ولم يبق له سوى شقيقته ماريانا.

انتقل إلى باريس حيث تلقى دروساً في الرسم لصقل موهبته التي اهتمت برعايتها آنسة أميركية تُدعى ماري هاسكل. وبقي في فرنسا سنتين أغرم خلالها بفتاة تُدعى ميشلين، وكان حبّاً يائساً.

بعد ذلك، عاد إلى أميركا واستقرّ في نيويورك حيث أنشأ محترفاً للرسم، وراح يرسم ويكتب وينشر، وهناك تعرّف إلى ميخائيل نعيمة وعدد من الكتّاب والشعراء وأنشأ معهم «الرابطة القلمية»، واستمرّ في عطاء القلم والرّيشة حتى أنهكه المرض (السلّ وسرطان الكبد) فصرعه في ١٠ نيسان ١٩٣١ في أحد مستشفيات نيويورك.

تميّز جبران بشخصية ثورية ناقمة على الظلم وعلى الطبقة في المجتمع. وفي الوقت نفسه، كان رومنتيقياً في شعره ورمزياً في لوحاته التي جعل الإنسان عنوانها.

من أبرز آثاره: - في العربية: عرائس المروج، الأرواح المتمردة، الأجنحة المتكسرة، دمة وابتسامة، المواكب، العواصف، والبدائع والطرائف.

- في الإنكليزية: السابق، المجنون، رمل وزبد، يسوع ابن الإنسان، والنبى.

- ميخائيل نعيمة (١٨٨٩ - ١٩٨٨): وُلد في بسكنتا، وتلقّى علومه الأولى فيها، ثم في الناصرة في فلسطين. بعد ذلك، تابع علومه في روسيا التي أتقن لغة شعبها، وفيها بدأ أولى محاولاته الشعرية (النهر المتجمّد).

عاد إلى لبنان، ومنه سافر إلى الولايات المتحدة حيث نال إجازتين في الآداب والحقوق. وأثناء الحرب العالمية الثانية، طاله التجنيد الإجباري، فأرسل مع قوات الجيش الأميركي إلى فرنسا لمقاتلة ألمانيا، وعاد منها سالماً إلى الولايات المتحدة.

عمل فترة في المحاسبة لتأمين لقمة عيشه، وواظب على الكتابة والتأليف، مركزاً على النقد الأدبي. وكان أول مقال نقدي كتبه بعنوان «فجر الأمل بعد ليل اليأس» تناول فيه رواية جبران «الأجنحة المتكسرة». وكان لهذا المقال الفضل في لقاء جبران ونعيمة الأول. وترافقا على طريق الحياة والأدب وفي «الرابطة القلمية» حتى وفاة جبران سنة ١٩٣١. فعاد نعيمة إلى لبنان بعد ذلك بسنة، واستقرّ في بلدته بسكنتا شتاءً، وفي جوارها الشخروب صيفاً، وانصرف إلى الكتابة والتأليف. وقد جعلت عزلة هذه الأديب اللبناني الراحل توفيق يوسف عوّاد يلقبه بـ «ناسك الشخروب».

وأمضى نعيمة معظم حياته التي قاربت المئة عام في لبنان حتى وفاته في شباط ١٩٨٨، تاركاً عدداً كبيراً من المؤلفات القيّمة التي ترجم بعضها إلى عدد من اللغات العالمية.

من أبرز مؤلفاته: - في العربية: الآباء والبنون، الغربال، المراحل، زاد المعاد، كان ما كان، همس الجفون (شعر)، صوت العالم، في مهب الريح، سبعون، اليوم الأخير، يا ابن آدم، من وحي المسيح وغيرها.

- في الإنكليزية: كتاب مرداد، جبران خليل جبران، مذكرات الأرقش وغيرها. وجميع هذه الكتب ترجمها نعيمة إلى اللغة العربية.

كتب نعيمة في القصة والشعر والنقد الأدبي الاجتماعي والفلسفة والوجدانيات. وبلغ قمة عطائه في «كتاب مرداد» الذي يُعتبر الكتاب الأهم الذي أصدره. وقد جعل الإنسان همّه الأول في معظم ما كتب.

- إيليا أبو ماضي (١٨٩٠ - ١٩٥٧): وُلد في بلدة المحيدثة، قرب بكفيا، وسافر إلى مصر في الحادية عشرة من عمره، حيث راح يعمل نهائراً في متجر عمّه ويدرس ليلاً، وقد أحب الشعر منذ صغره، وأخذ ينظمه وينشر قصائده في مجلة «الزهور». وفي العام ١٩١٢، صدر له ديوانه الأول بعنوان «تذكار الماضي».

بعد ذلك، هاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية، وراح يعمل في مجال التجارة، ثم أصبح عضواً في «الرابطة القلمية»، ولقب بشاعرها.

وفي العام ١٩٢٩، أسس مجلة «السمير»، التي ظلت تصدر حتى وفاته. وقد تناول في هذه المجلة، التي صارت تصدر يومياً بعد فترة من تأسيسها، مختلف المواضيع، وخصوصاً القضايا الاجتماعية والسياسية.

بالإضافة إلى «تذكار الماضي»، ترك أبو ماضي أربعة دواوين، هي «ديوان أبو ماضي»، و «الجداول»، «الخمائل»، و «تبر وتراب». والديوان الأخير نشر بعد وفاته.

- رشيد أيوب (١٨٧١ - ١٩٤١): وُلد في بسكنتا. سافر إلى الولايات المتحدة قبل أن يتلقّى ثقافة واسعة. لكنه أبدى ميلاً إلى نظم الشعر، وبدأ ينشر قصائده في بعض المجلات العربية التي كانت تصدر في أميركا. انضم إلى «الرابطة القلمية». من أبرز آثاره ديوان شعري بعنوان «أغاني الدرويش».

- نسيب عريضة (١٨٨٧ - ١٩٤٦): ولد في حمص من والدين أرثوذكسيين وتابع دروسه الابتدائية في المدرسة الروسية ومن ثم دخل دار المعلمين الروسية سنة ١٩٠٠. وفي سنة ١٩٠٥ سافر إلى نيويورك حيث عمل «ماسك دفاتر» عند أبناء عمه. غير أن الحساب لم يكن يستهويه، لذلك راح

ينظم الشعر ويطالع لساعات طوال في أوقات فراغه . وما هي إلا سنوات قليلة حتى ترك التجارة وأسس مطبعة «الأتلتيك» وأصدر مجلة «الفنون» التي توقفت عن الصدور بعد فترة قصيرة لأسباب مالية . وفي سنة ١٩١٦ أعاد إطلاق «الفنون» ، لكن الظروف عاكسته تلك المرة أيضاً واضطر إلى إيقافها بعد سنتين . ثم عمل كمحرر في جريدة «السائح» و «مرآة الغرب» و «الهدى» وكمترجم في مكتب الأنباء الأميركي . وفي ٢٥ آذار ١٩٤٦ توفي نسيب عريضة . أما الأثر الوحيد الذي تركه لنا فهو ديوان «الأرواح الحائرة» .



تعرّضت «الرابطة» لحملات تجريح ونقد من التقليديين والمتمسكين بقواعد اللغة وقوانين الخليل وعروضه وأوزانه . لكن ذلك لم يزلها إلا قوّة ، فراح نهجها التجديدي ينتشر ليحطّم القيود التي كانت تكبل الأدب العربي وينطلق به إلى عالم الإنسان والحق والجمال . ولم يتوان أركانها عن الدفاع عن خطّهم الأدبي ، فكانوا يردّون على من وصف نعيمة ضجيج احتجاجاتهم بـ «نقيق الضفادع» .

فجبران يقول في كتابه «دمعة وابتسامة» ، وتحت عنوان «شعراء المهجر» :

«لو تخيل الخليل أن الأوزان التي نظم عقودها وأحكم أوصالها ستصير مقياساً لفضلات القرائح وخيوطاً تعلق عليها أصداف الأفكار لنشر تلك العقود وفصم عرى تلك الأوصال .

«ولو تنبأ المتنبي وافترض الفارض أن ما كتبناه سيصبح مورداً لأفكار عقيمة ومقوداً لرؤوس مشاعير يومنا لهرقا المحابر في محاجر النسيان وحطّما الأقلام بأيدي الإهمال .

«ولو درت أرواح هوميروس وفرجيل وأعمى المعرفة وملتون أن الشعر المتجسّم من النفس المشابهة لله سيحط رحاله في منازل الأغنياء لبعدت تلك الأرواح عن أرضنا واختفت وراء السيارات .

«ما أنا من المتعنتين ، لكن يعزّ عليّ أن أرى لغة الأرواح تتناقلها السنة

الأغبياء، وكوثر الآلهة يسيل على أقلام المدّعين، ولست منفرداً في وهدة الاستياء بل رأيتني واحداً من كثيرين نظروا الضفدع تنتفخ تمثلاً بالجاموس.

«الشعر يا قوم روح مقدّسة متجسمة من ابتسامة تحيي القلب أو تنهدة تسرق من العين مدامعها. أشباح مسكنها النفس وغداؤها القلب ومشرّبها العواطف، وإن جاء الشعر على غير هذه الصور فهو كمسيح كذاب نبذه أوقى...».

وعن الدور الذي لعبته «الرابطة القلمية»، يقول ميخائيل نعيمة في كتابه «في الغربال الجديد»: «لقد كان من ثورة «الرابطة القلمية» على التقليد أن خلقت أدباً إنسانياً شاملاً، وخلقت شعراً لا أثر فيه للفخر والحماسة والهجاء، والتسكع في المدح، والتفجّع الكاذب في الرثاء. أما الغزل فقد أقلعت فيه عن أساليب القدامى. وأما القوالب الشعرية فقد زاجت فيها ما بين البحور الكاملة ومجازيئها، والبحور التي تدانيها في جرسها، ونوّعت القوافي فقسمت القصيدة الواحدة إلى مقاطع، جاعلة لكلّ مقطع قافية غير التي للذي قبله أو بعده. ومن ثمّ ربطت القصيدة من أولها إلى آخرها بفكرة واحدة أو قصد واحد بحيث لا تبدو مفككة الأوصال، عديمة الانسجام. ذلك مع الافتنان في تبديل الصور وتلوينها، وفي تزاج الأنغام وتنويعها...».



من الأدباء المهجريّين الذين لم ينتموا إلى «الرابطة القلمية» أمين الريحاني أو «فيلسوف الفريكة» كما لقّب. وعدم انضمامه إلى «الرابطة» يعزوه نعيمة في كتابه «سبعون» - الجزء الثاني، إلى الخلاف الحادّ الذي ساد بين الريحاني وجبران، عميد «الرابطة».

وأمين الريحاني (١٧٨٦ - ١٩٤٠) ولد في قرية الفريكة. سافر إلى الولايات المتحدة مع عمه سنة ١٨٨٧ حيث التحق ببعض المدارس. لكن مهنة التجارة استهوته، وكان والده وعمه يمارسانها. فترك المدرسة وراح يعمل في التجارة. لكنه في الوقت نفسه، لم يهمل القراءة، فأخذ يطلع كتباً

عربيّة مختلفة تتناول الأدب والتاريخ. وقرأ مؤلفات على النحو ذاته باللغة الإنكليزيّة.

بعد ذلك، عاد مجدّداً إلى الدراسة حيث التحق بإحدى كليات الحقوق في نيويورك. ثم عاد فترة إلى لبنان حيث ترجم «لزوميّات» أبي العلاء المعريّ إلى الإنكليزيّة ونشرها في أميركا تحت عنوان «رباعيات المعريّ».

وأثناء وجوده في أميركا، استهواه السفر، فزار عدداً من البلدان الأوروبيّة والأفريقيّة وأطلع على عادات شعوبها وتقاليدها. وقد ساعدته أسفاره العديدة في معرفة معنى الحرية والاستقلال، فأدرك الواقع الأليم الذي كانت تعيشه بلاده والعالم العربي في ظلّ الاحتلال العثماني، والظلم الذي كان يمارسه هذا الاحتلال في حقّ شعوب تلك المنطقة.

وما كادت الحرب العالميّة الأولى تنتهي، حتى أدرك الريحاني أن ما كان يُعدّ لبلده ولمحيطه العربي كان أبعد ما يكون عن الاستقلال. فقرّر القيام بعمل ما يدفع زعماء العالم العربي إلى الاقتناع بأن جمع الصفوف وتوحيد الكلمة هما الطريق الوحيدة لبلوغ الهدف المنشود في تحقيق الاستقلال.

وعلى هذا الأمل، بدأ سنة ١٩٢٢ رحلة طاف خلالها على معظم المناطق والبلاد العربيّة، ومنها مصر، والحجاز، واليمن، والكويت، والعراق. واتّصل بعدد من الزعماء العرب. ثمّ استقرّ لفترة في لبنان، قبل أن يعود إلى التنقل بينه وبين أميركا. وعندما اعتلّت صحّته، عاد إلى لبنان، ومكث فيه حتى وفاته بعدما سقط عن دراجته بسبب معاناته مرض الروماتيزم.

من أهمّ مؤلفاته: - بالعربيّة: ملوك العرب، قلب العراق، قلب لبنان، زنبقة الغور، الريحانيّات، التطرّف والإصلاح، هتاف الأودية (شعر منشور) وغيرها.

- بالإنكليزيّة: لزوميّات المعريّ، ابن سعود ونجد.

ثانياً: في البرازيل:

- فوزي المعلوف (١٨٩٩ - ١٩٣٠): وُلد في زحلة، ودرس على مقاعد «الكلية الشرقية» وبدأ يظهر ميلاً إلى الشعر منذ فتوّته، وساعدته مكتبة والده، عيسى اسكندر المعلوف، الغنية على مطالعة أهم المؤلفات.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، توجه إلى الشام وراح يعمل في دار المعلمين وفي المعهد الطبي العربي. وفي الوقت نفسه، كان يكتب وينشر ما يكتبه أو ينظمه في الصحف والمجلات.

ثم سافر إلى البرازيل، حيث عمل مع شقيقه وأخواله في إدارة مصانع الحرير، وأسس «النادي الزحلي» في ساو باولو. وحقق نجاحاً في العمل والشعر. إلا أن مرضاً أصابه وأودى به، وهو في مطلع العقد الرابع من العمر.

من أهم مؤلفاته ديوان شعر بعنوان «بساط الريح».

- شفيق المعلوف (١٩٠٥ - ١٩٧٦): وُلد في زحلة، وهو شقيق فوزي ورياض المعلوف. استفاد هو أيضاً من مكتبة والده، فوجه اهتماماته نحو المجال الأدبي. رأس تحرير مجلة «ألف باء» في لبنان. ثم هاجر إلى البرازيل مع أخواله وشقيقه فوزي. وعمل في التجارة والصناعة. لكنه لم يهمل الأدب، فشارك في تأسيس «العصبة الأندلسية» التي كانت على غرار «الرابطة القلمية» وترأسها.

من أهم مؤلفاته: ملحمة «عبر» التي ترجمت إلى لغات عديدة، «لكلّ زهرة عبير» «نداء المجاذيف»، و «رواية ليلي الأخيلية»، و «سنابل راعوث».

ثالثاً: في العالم العربي:

- مي زيادة (١٨٩٥ - ١٩٤١): وُلدت في الناصرة (فلسطين). تميّزت منذ صغرها بمسحة من الحزن والكآبة. تلقت علومها في لبنان، ثم عادت إلى الناصرة. ومن هناك انتقلت إلى مصر حيث استهوها الأدب بمنحاه الرومنطقي بسبب عشقها للطبيعة. وأتاح لها حبّها للمطالعة الاطلاع على أبرز الآثار الأدبية، العربية والغربية، كونها تتقن عدداً من اللغات.

مارست التعليم والصحافة. وساهمت في نهضة المرأة العربية وسعت دائماً إلى تحريرها من عبودية الرجل والمجتمع والتقاليد. تبادلت رسائل عديدة مع جبران خليل جبران، كان محورها الأوضاع الاجتماعية في المجتمعات العربية والنهضة العربية في بداية القرن العشرين. من أهم مؤلفاتها: باحثة البادية، سوانح فتاة، المساواة، وكلمات وإشارات.

- جرجي زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤): وُلد في بيروت، وفيها تلقى علومه. سافر إلى القاهرة حيث أسس مجلة «الهلال» سنة ١٨٩٢، ثم «دار الهلال للطباعة والنشر». كتب في الأدب والتاريخ، وترك عدداً كبيراً من المؤلفات، أهمها: «تاريخ آداب اللغة العربية»، «تاريخ التمدن الإسلامي»، «تراجم مشاهير الشرق»، «العرب قبل الإسلام» «فتاة غسان»، «عذراء قريش» و «غادة كربلاء».

- أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢): ولد في القاهرة ونشأ بين أحضان جدته لأمه التي كانت وصيفة في قصر إسماعيل. دخل كلية الحقوق وقسم الترجمة حيث برع، مما دفع الخديوي توفيق إلى إرساله في بعثة إلى فرنسا وتابع في مونبلييه لمدة أربع سنوات دراسة الحقوق والآداب.

رجع شوقي إلى مصر سنة ١٨٩٢، فقربه منه الخديوي عباس وتعهده، وجعله شاعره الخاص. ومع نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، خلعت إنكلترا الخديوي عباس ونفت أحمد شوقي من مصر، تاركة له حق الاختيار، فوقع اختياره على الأندلس.

وفي سنة ١٩١٩ عاد إلى مصر بعد أن عفت عنه السلطات المصرية. وراح ينظم الأشعار حول مواضيع تهتم مصر والشعوب العربية. وفي سنة ١٩٢٧ بايعته الوفود العربية بإمارة الشعر، وقال حافظ إبراهيم في تلك المناسبة:

أمير القوافي، قد أتيت مبائعاً وهذي وفود الشرق قد بايعت معي
توفي أحمد شوقي سنة ١٩٣٢ تاركاً وراءه إنتاجاً غزيراً في الشعر والنثر، أهمه: الشوقيات ومسرحية سبع.

اعتبر أحمد شوقي أن للشعر ثلاث ركائز يعتمد عليها هي التاريخ والعاطفة والحكمة، وإذا خلا من أي منها أصبح تقطيعاً وأوزاناً وحسب. وحافظ في أشعاره على هذا الأمر، فنحن نجد في قصيدته الهمزية مثلاً أهم الحوادث التي عرفها النيل وهي تعطي صورة واضحة عن حضارة مصر، وكذلك تعتبر قصائده في الأهرام وتوت عنخ آمون وقصور أنس الوجود وأبي الهول لوحات خالدة وشهادة حية على الحضارة المصرية العريقة. وهو قد قال: «الشعر ابن أبوين: التاريخ والطبيعة».

وتأجج قصائد شوقي بالعاطفة الوطنية وبالفخر والاعتزاز والصدق وهو يدعو إلى ترك الأحقاد والعمل معاً في سبيل الوطن. وشارك أيضاً العرب في أحزانهم وفي أفراحهم.

- قاسم أمين (١٨٦٣ - ١٩٠٨): ولد في القاهرة من والد تركي الأصل، كان يعمل ضابطاً في الجيش المصري. كان شديد التفوق في دراسته مما خصه بمنحة للدراسة في جامعة مونبيلييه الفرنسية للتخصص في الدراسات القانونية. كان يعشق المطالعة، فأنكب على الكتب الفرنسية يعب من منهلها وكله شغف لدراسة الحضارة الغربية ونظمها وثوراتها وطريقة تعاملها مع المرأة. وبعد عودته إلى مصر سنة ١٨٨٥ دخل إلى سلك القضاء وتولى مناصب رفيعة، وتميز بنزاهته وسعة إطلاعه. وتوفي قاسم أمين سنة ١٩٠٨. ومن أكثر المواضيع التي اهتم بها أمين قضية تحرير المرأة والدفاع عنها، ومن أبرز مؤلفاته في هذا المجال كتاب «تحرير المرأة» وكتاب «المرأة الجديدة».

- المنفلوطي: ولد مصطفى بن محمد لطفي المنفلوطي سنة ١٨٧٦ في مصر. انتقل سنة ١٠٨٧ إلى القاهرة ودخل إلى جامع الأزهر حيث درس علوم الدين واللغة لمدة عشر سنوات. غير أن الأدب كان يستهويه، مع العلم أن قانون الجامع كان ينهي عن قراءة الكتب الأدبية. ترك المنفلوطي الأزهر سنة ١٨٩٧ وتلمذ على الشيخ محمد عبده، فدرس على يده الأدب والأخلاق والحكمة. توفي الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٥، فاضطر إلى العودة إلى منفلوط ضيعته الأم حيث مكث سنتين ومن ثم توجه إلى القاهرة

حيث انكب على الكتابة والتأليف إلى أن لاقته المنية سنة ١٩٢٤ .
ومن الآثار التي خلفها المنفلوطي النظرات (ثلاثة أجزاء)، والعبرات،
ومجدولين والفضيلة، وهي بمعظمها مترجمة عن الفرنسية .

- أبو القاسم الشابي: ولد أبو القاسم الشابي في تونس سنة ١٩٠٩ من
والد يعمل كقاضٍ، فتعلم منه أصول اللغة وقواعدها. درس الحقوق في
جامع الزيتونة في تونس، ونال إجازة فيها. غير أن نفسه مالت إلى الشعر
والأدب أكثر من الحقوق، فراح ينظم الشعر ويتصل بكبار الأدباء والمفكرين،
ويكتب المقالات ويلقي المحاضرات. ودفعته رغبته في التجديد إلى الاتصال
بجماعة أبولو في مصر، وهي بمثابة «حلقة من الشعراء المجاهدين الذين
سعوا إلى تطوير الشعر العربي وتحريره من القيود والقوالب والموضوعات
التقليدية القديمة». وقد نشرت له هذه الجماعة في مجلتها بعض قصائده
وأشعاره .

غير أن أبا القاسم توفي سنة ١٩٣٤ وهو في الخامسة والعشرين من
عمره، تاركاً مجموعة من الآثار أهمها ديوان «أغاني الحياة» ودراسة «الخيال
الشعري عند العرب» .

وتميز الشابي بحبه للحياة وتساميه على الآلام التي كانت تنوء عليه
بحملها بسبب التورم في قلبه الذي أدى إلى مقتله وموت حبيبته ووالده .

- نزار قباني: ولد نزار قباني في دمشق ١٩٢٣ . درس الحقوق وعمل
في السلك الدبلوماسي حتى سنة ١٩٦٦ حيث اعتزل الوظيفة وانصرف إلى
الشعر. يعد نزار قباني من كبار المجددين في شعر الغزل والحب. يتميز
أسلوبه بالرقّة والعذوبة والعفوية والموسيقى. أقام مدة طويلة في لندن وتوفي
فيها سنة ١٩٩٨ .

من دواوينه الشعرية: قالت لي السمراء، طفولة نهد، سامبا، أنت لي،
يوميات امرأة لا مبالية، قصائد متوحشة، كتاب الحب، إلى بيروت الأثني مع
حبي .

نماذج

من عصر النهضة
في الشعر والنثر

جبران خليل جبران

المحبة

حينئذ قالت له المطرة: هات لنا خطبة في المحبة .
فرفع رأسه ونظر إلى الشعب نظرة محبة وحنان ، فصمتوا جميعهم
خاشعين . فقال لهم بصوت عظيم :
إذا أشارت المحبة إليكم فاتبعوها ،
وإن كانت مسالكها صعبة متحذرة .
وإذا ضمتكم بجناحيها فأطيعوها ،
وإن جرحكم السيفُ المستور بين ريشها .
وإذا خاطبتكم المحبة فصدّقوها ،
وإن عطل صوتها أحلامكم وبددها كما تجعل الريح الشمالية البستان
قاعاً صفصفاً .



لأنه كما أن المحبة تكللكم ، فهي أيضاً تصلبكم .
وكما تعمل على نموكم ، هكذا تعلّمكم وتستأصل الفاسد منكم .
وكما ترتفع إلى أعلى شجرة حياتكم فتعانق أغصانها اللطيفة المرتعشة
أمام وجه الشمس ،
هكذا تنحدر إلى جذورها الملتصقة بالتراب وتهزها في سكونة الليل .



المحبة تضمّكم إلى قلبها كأغمار الحنطة .
وتدرسكم على بيادرها لكي تظهر عريكم .
وتغربلكم لكي تحرركم من قشوركم .
وتطحنكم لكي تجعلكم أنقياء كالثلج .
وتعجنكم بدموعها حتى تلينوا ،
ثم تعذّكم لنارها المقدسة ، لكي تصيروا خبزاً مقدّساً يقرب على مائدة
الرب المقدّسة .



كل هذا تصنعه المحبة لكم لكي تدركوا أسرار قلوبكم ، فتصبحوا بهذا
الإدراك جزءاً من قلب الحياة .
غير أنّكم إذا خفتهم ، وقصرتم سعيكم على الطمأنينة واللذة في
المحبة :

فالأجدر بكم أن تستروا عريكم وتخرجوا من بيدر المحبة إلى العالم
البعيد حيثما تضحكون ، ولكن ليس كل ضحككم ، وتبكون ، ولكن ليس كل
ما في مآقيكم من الدموع .



المحبة لا تعطي إلّا نفسها ، ولا تأخذ إلّا من نفسها .
المحبة لا تملك شيئاً ، ولا تريد أن يملكها أحد :
لأن المحبة مكثفية بالمحبة .



أما أنت إذا أحببت فلا تقل : «إن الله في قلبي» ، بل قل بالأحرى : «أنا
في قلب الله» .

ولا يخطر لك البتة أنك تستطيع أن تتسلط على مسالك المحبة، لأن
المحبة، إن رأت فيك استحقاقاً لنعمتها، تتسلط هي على مسالكك.
والمحبة لا رغبة لها إلا في أن تكمل نفسها.
ولكن إذا أحببت، وكان لا بدّ من أن تكون لك رغبات خاصة بك،
فلتكن هذه رغباتك.
أن تذوب وتكون كجدول متدفق يشنف آذان الليل بأنغامه.
أن تخبر الآلام التي في العطف المتناهي.
أن يجرحك إدراكك الحقيقي للمحبة في حبة قلبك، وأن تنزف دماؤك
وأنت راضٍ مغتبط.
أن تنهض عند الفجر بقلب مجنح خفوق، فتؤدي واجب الشكر ملتماً
يوم محبة آخر.
أن تستريح عند الظهيرة وتناجي نفسك بوجد المحبة.
أن تعود إلى منزلك عند المساء شاكراً:
فتنام حينئذٍ والصلاة لأجل من أحببت تتردد في قلبك وأنشودة الحمد
والثناء مرتسمة على شفئك.

- النبي -

البنفسجة الطمّوح

كان في حديقة منفردة بنفسجة جميلة الشّيا، طيبة العرف، تعيش قاعة بين أترابها وتمايل فرحة بين قامات الأعشاب.

ففي صباح، وقد تكلّلت بقطر الندى، رفعت رأسها ونظرت حوالها فرأت وردة تتناول نحو العلاء بقامة هيفاء ورأس يتسامى متشامخاً كأنه شعلة من النار فوق مسرّجة من الزمرد.

ففتحت البنفسجة ثغرها الأزرق وقالت متنهّدة: ما أقل حظي بين الرياحين، وما أوضع مقامي بين الأزهار! فقد ابتدعتني الطبيعة صغيرة، حقيرة، أعيش ملتصقة بأديم الأرض ولا أستطيع أن أرفع قامتي نحو ازرقاق السماء أو أحول وجهي نحو الشمس مثلما تفعل الورود.

وسمعت الوردة ما قالته جارتها البنفسجة فاهتزت ضاحكة ثم قالت: ما أغباك بين الأزهار! فأنت في نعمة تجهلين قيمتها. فقد وهبتك الطبيعة من الطيب والظرف والجمال ما لم تهبه لكثير من الرياحين. فخلّي عنك هذه الميول العوجاء والأمانى الشريرة وكوني قنوعاً بما قسم لك واعلمي أن من خفض جناحه رفع قدره، وإن من طلب المزيد وقع في النقصان.

فأجابت البنفسجة قائلة: أنت تعزّنيني أيتها الوردة لأنك حاصلة على ما أتمناه، وتغمرين حقارتي بالحكم، لأنك عظيمة. وما أمرّ مواعظ السعداء في قلوب التاعسين وما أقسى القوي إذا وقف خطيباً بين الضعفاء!



وسمعت الطبيعة ما دار بين الوردة والبنفسجة فاهتزت مستغرّبة ثم رفعت صوتها قائلة:

ماذا جرى لك يا ابنتي البنفسجة؟ فقد عرفت لك لطيفة بتواضعك عذبة

بصغرك شريفة بمسكنتك، فهل استهوتك المطامع القبيحة أم سلبت عقلك
العظمة الفارغة؟

فأجابت البنفسجة بصوت ملؤه التوسل والاستعطاف:

أيتها الأم العظيمة بجبروتها، الهائلة بحنانها، أضرع إليك بكل ما في
قلبي من التوسل، وما في روحي من الرجاء أن تجيبي طلبي وتجعليني وردة
ولو يوماً واحداً.

فقالت الطبيعة: أنت لا تدرين ما تطلبين ولا تعلمين ما وراء العظمة
الظاهرة من البلايا الخفية، فإذا رفعت قامتك وبدلت صورتك وجعلتك وردة
تندمين حين لا ينفع الندم.

فقالت البنفسجة: حوّلي كياني البنفسجي إلى وردة مديدة القامة مرفوعة
الرأس... ومهما يحلّ بي بعد ذلك يكن صنع رغائبي ومطامعي.

فقالت الطبيعة: لقد أجبت طلبك أيتها البنفسجة الجاهلة المتمردة،
ولكن إذا دهمتك المصائب والمصاعب فلتكن شكواك من نفسك.

ومدّت الطبيعة أصابعها الخفية السحرية ولمست عروق البنفسجة
فتحولت بلحظة إلى وردة زاهية متعالية فوق الأزهار والرياحين.

ولما جاء عصر ذلك النهار تلبّد الفضاء بغيوم سوداء مبطنة بالإعصار ثم
هاجت سواكن الوجود فأبرقت ورعدت وأخذت تحارب تلك الحقائق
والبساتين بجيش عرمرم من الأمطار والأهوية، فكسرت الأغصان ولوت
الأنصاب واقتلعت الأزهار المتشامخة ولم تبقِ إلا على الرياحين الصغيرة التي
تلتصق بالأرض أو تختبئ بين الصخور.

أما تلك الحديقة المنفردة فقد قاست من هياج العناصر ما لم تقاسه
حديقة أخرى.

فلم تمر العاصفة وتنقشع الغيوم حتى أصبحت أزهارها هباء منثوراً ولم
يسلم منها بعد تلك المعمعة الهوجاء سوى طائفة البنفسج المختبئة بجدار
الحديقة.

ورفعت إحدى صبايا البنفسج رأسها فرأت ما حلّ بأزهار الحديقة
وأشجارها فابتسمت فرحاً ثم نادى رفيقاتها قائلة: ألا فانظرون ما فعلته
العاصفة بالرياحين المتشامخة تيهاً وعُجباً.

وقالت بنفسجة أخرى: نحن نلتصق بالتراب ولكننا نسلم من غضب
العواصف والأنواء.

وقالت بنفسجة ثالثة: نحن حقيرات الأجسام غير أن الزوابع لا تستطيع
التغلب علينا.

ونظرت إذ ذاك مليكة طائفة البنفسج فرأت على مقربة منها الوردة التي
كانت بالأمس بنفسجة وقد اقتلعتها العاصفة وبعثرت أوراقها الرياح وألقته
على الأعشاب المبللة فبانت كقتيل أرداه العدو بسهم.

فرفعت مليكة البنفسج قامتها ومدّت أوراقها. ونادت رفيقاتها قائلة:
تأملن وانظرن يا بناتي. انظرن إلى البنفسجة التي غرّتها المطامع فتحوّلت إلى
وردة لتتشمخ ساعة ثم هبطت إلى الحضيض. ليكن هذا المشهد أمثلة
لكنّ.

عندئذ ارتعشت الوردة المحتضرة واستجمعت قواها الخائرة وبصوت
منقطع قالت:

ألا فاسمعن أيتها الجاهلات القانعات، الخائفات من العواصف
والأعاصير. لقد كنت بالأمس مثلكن أجلس بين أوراق الخضراء مكتفية بما
قسم لي، وقد كان الاكتفاء حاجزاً منيعاً يفصلني عن زوابع الحياة وأهويتها.
ويجعل كياني محدوداً بما فيه من السلامة، متناهيماً بما يساوره من الراحة
والطمأنينة. ولقد كان بإمكانني أن أعيش نظيركن ملتصقة بالتراب حتى يغمرني
الشتاء بثلوجه وأذهب كمن ذهب قبلي إلى سكينه الموت والعدم قبل أن
أعرف من أسرار الوجود ومخباته غير ما عرفته طائفة البنفسج منذ وجد
البنفسج على سطح الأرض. لقد كان بإمكانني الانصراف عن المطامع والزهد
في الأمور التي تعلو بطبيعتها عن طبيعتي. ولكنني أصغيت في سكينه الليل
فسمعت العالم الأعلى يقول لهذا العالم: «إنما القصد من الوجود الطموح

إلى ما وراء الوجود». فتمردت نفسي على نفسي وهام وجداني بمقام يعلو عن وجداني، وما زلت أتمرد على ذاتي وأتشوق إلى ما ليس لي حتى انقلب تمردي إلى قوة فعالة واستحال شوقي إلى إرادة مبدعة فطلبت إلى الطبيعة - وما الطبيعة سوى مظاهر خارجية لأحلامنا الخفية - أن تحولني إلى وردة ففعلت، وطالما غيرت الطبيعة صورها ورسومها بأصابع الميل والتشويق.

وسكتت الوردة هنيهة ثم زادت بلهجة مفعمة بالفخر والتفوق:

لقد عشت ساعة كاملة. لقد نظرت إلى الكون من وراء عيون الورد، وسمعت همس الأثير بأذان الورد، ولمست ثنانياً النور بأوراق الورد. فهل بينكن من تستطيع أن تدعي شرفي؟

ثم لوت عنقها، وبصوت يكاد يكون لهاثاً قالت:

أنا أموت الآن. أموت وفي نفسي ما لم تكنه نفس بنفسجة من قبلي. أموت وأنا عالمة بما وراء المحيط المحدود الذي ولدت فيه، وهذا هو القصد من الحياة. هذا هو الجوهر الكائن وراء عرضيات الأيام والليالي.

وأطبقت الوردة أوراقها وارتعشت قليلاً ثم ماتت وعلى وجهها ابتسامة علوية - ابتسامة من حققت الحياة أمانه - ابتسامة النصر والتغلب - ابتسامة الله.

- العواصف -

يا نفس

يا نَفْسُ لَوْلَا مَطْمَئِنِّي بِالْخُلْدِ مَا كُنْتُ أَعْي
لَحْنًا تُغْنِيهِ الدَّهْوُزُ
بَلْ كُنْتُ أَنْهَى حَاضِرِي قَسْرًا فَيَغْدُو ظَاهِرِي
سِرًّا تُوَارِيهِ الْقُبُورُ



يا نَفْسُ لَوْلَا أَعْتَسِلُ بِالدَّمْعِ أَوْ لَمْ يَكْتَحِلْ
جَفَنِي بِأَشْبَاحِ السَّقَامِ
لَعِشْتُ أَعْمَى وَعَلَى بَصِيرَتِي ظَفَرٌ، فَلَا
أَرَى سِوَى وَجْهِهِ الظُّلَامِ



يا نَفْسُ مَا الْعِيشُ سِوَى لَيْلٍ إِذَا جَنَّ انْتَهَى
بِالْفَجْرِ، وَالْفَجْرُ يَدُومُ
وَفِي ظَمَأِ قَلْبِي دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ السَّلْسَبِيلِ
فِي جَرَّةِ الْمَوْتِ الرَّحُومِ



يا نَفْسُ إِنْ قَالَ الْجَهْلُ: الرُّوحُ كَالْجَسْمِ تَزُولُ
وَمَا يَزُولُ لَا يَمُوتُ
قُولِي لَهُ إِنْ الزَّهْوُزُ تَمْضِي وَلَكِنْ الْبُذُورُ
تَبْقَى وَذَا كُنْهَ الْوُجُودِ

- البدائع والطرائف -

مات أهلي

كتبت أيام المجاعة

مات أهلي وأنا قيد الحياة أندب أهلي في وحدتي وانفرادي .

مات أحبابي وقد أصبحت حياتي بعدهم بعض مصابي بهم .

مات أهلي وأحبابي وغمرت الدموع والدماء هضبات بلادي، وأنا ههنا أعيش مثلما كنت عائشاً عندما كان أهلي وأحبابي جالسين على منكبي الحياة وهضبات بلادي مغمورة بنور الشمس .

مات أهلي جائعين، ومن لم يمت منهم جوعاً قضى بحدّ السيف، وأنا في هذه البلاد القصيّة أسير بين قوم فرحين مغتبطين يتناولون المأكّل الشهية والمشارب الطيبة وينامون على الأسرة الناعمة ويضحكون للأيام والأيام تضحك لهم .

مات أهلي أذلّ ميتة، وأنا ههنا أعيش في رغد وسلام . وهذه هي المأساة المستتبة على مسرح نفسي .

لو كنت جائعاً بين أهلي الجائعين مضطهداً بين قومي المضطهدين، لكانت الأيام أخفّ وطأة على صدري، والليالي أقلّ سواداً أمام عيني، لأن من يشارك أهله بالأسى والشدة يشعر بتلك التعزية العلوية التي يولدها الاستشهاد، بل يفتخر بنفسه لأنه يموت بريئاً مع الأبرياء .

لكنني لست مع قومي الجائعين، المضطهدين، السائرين في موكب الموت نحو مجد الاستشهاد، بل أنا ههنا وراء البحار السبعة أعيش في ظلّ الطمأنينة وخمول السلامة . أنا ههنا بعيد عن النكبة والمنكوبين ولا أستطيع أن أفخر بشيء حتى ولا بدموعي .

وماذا عسى يقدر المنفيّ البعيد أن يفعل لأهله الجائعين؟ .

ليت شعري، ماذا ينفع ندب الشاعر ونواحه؟.

لو كنت سنبله من القمح نابتة في تربة بلادي لكان الطفل الجائع يلتقطني ويزيل بحبّاتي الموت عن نفسه.

لو كنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي لكانت المرأة الجائعة تتناولني وتقضمني طعاماً.

لو كنت طائراً في فضاء بلادي لكان الرجل الجائع يصطادني ويزيل بجسدي ظلّ القبر عن جسده.

ولكن، واحرّ قلباه، لست بسنبله من القمح في سهل سوريا، ولا بثمرة يانعة في أودية لبنان، وهذه هي نكبتي الصامته التي تجعلني حقيراً أمام نفسي وأمام أشباح الليل.

هذه هي المأساة الموحجة التي تعقد لساني وتكبّل يديّ ثم توقفني بلا عزم، ولا إرادة، ولا عمل.

يقولون لي: ما نكبة بلادك سوى جزء من نكبة العالم، وما الدموع والدماء التي أهرقت في بلادك سوى قطرات من نهر الدماء والدموع المتدفق ليلاً ونهاراً في أودية الأرض وسهولها.

نعم، ولكن نكبة بلادي نكبة خرساء - نكبة بلادي جريمة حبّلت بها رؤوس الأفاعي والشعابين - نكبة بلادي مأساة بغير أناشيد ولا مشاهد.

لو ثار قومي على حكامهم الطغاة وماتوا جميعهم متمردين لقلت إن الموت في سبيل الحرية لأشرف من الحياة في ضلال الاستسلام. ومن يعتنق الأبدية والسياف في يده كان خالداً بخلود الحق.

لو اشتركت أمتي بحرب الأمم وانقرضت على بكرة أبيها في ساحة القتال لقلت: هي العاصفة الهوجاء تهصر بعزمها الأغصان الخضراء واليابسة معاً، وإن الموت تحت أغصان العواصف لأشرف منه بين ذراعي الشيخوخة.

ولو زلزلت الأرض زلزالها وقلبت ظهر بلادي صدراً وغمر التراب

أهلي وأحبائي لقلت: هي النواميس الخفية تتحرك بمشيئة قوّة فوق قوة البشر، فمن الجهالة أن نحاول إدراك أسرارها وخفاياها.

ولكن لم يمت أهلي متمرّدين، ولا هلكوا محاربين، ولا زعزع الزلزال بلادهم فانقرضوا مستسلمين.

مات أهلي على الصليب.

ماتوا وأكفهم ممدودة نحو الشرق والغرب وعيونهم محدقة إلى سواد الفضاء.

ماتوا صامتين لأن آذان البشرية قد أغلقت دون صراخهم.

ماتوا لأنهم لم يحبّوا أعداءهم كالجبناء، ولم يكرهوا محبّيهم كالجاحدين.

ماتوا لأنهم لم يظلموا الظالمين.

ماتوا لأنهم كانوا مسالمين.

ماتوا جوعاً في الأرض التي تدرّ لبناً وعسلاً.

ماتوا لأنّ الثعبان قد التهم كلّ ما في حقولهم من المواشي وما في أهرائهم من الأقوات.

ماتوا لأن الأفاعي أبناء الأفاعي قد نفثوا السموم في الفضاء الذي كانت تملؤه أنفاس الأرز وعطور الورود والياسمين.

مات أهلي وأهلكم أيها السّوريون، فماذا نستطيع أن نفعل لمن لم يمت منهم؟

إن نواحن لا يسدّ رمقهم، ودموعنا لا تروي غليلهم، إذن ماذا نفعل لننقذهم من الجوع والشدة؟

هل نبقي مرتابين متردّدين، متكاسلين، مشغولين عن المأساة العظمى بتوافه الحياة وصغائرها؟

إن العاطفة التي تجعلك، يا أخي السوري، تعطي شيئاً من حياتك لمن يكاد يفقد حياته هي هي الأمر الوحيد الذي يجعلك حريّاً بنور النهار وهدوء الليل.

وإن الدرهم الذي تضعه في اليد الفارغة الممدودة إليك هو هو الحلقة الذهبية التي تصل ما فيك من البشرية بما فوق البشرية.

- العواصف -

من قصيدة «بالأمس»

كَانَ لِي بِالْأَمْسِ قَلْبٌ فَقَضَى
ذَلِكَ عَهْدٌ مِنْ حَيَاتِي قَدْ مَضَى
إِنَّمَا الْحُبُّ كَنَجْمٍ فِي الْفَضَا
وَسُرُورُ الْحُبِّ وَهَمٌّ لَا يَطُولُ
وَعُهُودُ الْحُبِّ أَحْلَامٌ تَزُولُ
عَنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ

❀ ❀ ❀

كَمْ سَهْرَتْ اللَّيْلُ وَالشُّوقُ مَعِي
وَحَيَالُ الْوَجْدِ يَحْمِي مَضْجَعِي
وَسَقَامِي هَامِسٌ فِي مَسْمَعِي:
تِلْكَ أَيَّامٌ تَقْضَتْ، فَابْشُرِي
وَاحْذَرِي، يَا نَفْسُ، أَلَّا تَذْكُرِي

❀ ❀ ❀

كُنْتُ إِنْ هَبَّتْ نُسَيْمَاتُ السَّحَرِ
وَإِذَا مَا سَكَبَ الْغَيْمُ الْمَطَرُ
وَإِذَا الْبَدْرُ عَلَى الْأَفْقِ ظَهَرَ
كُلُّ هَذَا كَانَ بِالْأَمْسِ، وَمَا
وَمَحَا السَّلْوَانُ مَاضِي كَمَا

أَتَلَوَى رَاقِصاً مِنْ مَرَحِي
خَلَّتْهُ الرِّاحُ فَأَمَلَا قَدَحِي
وَهِيَ قَرِيبِي صَحْتُ: «هَلَّا يَسْتَحْيِي»
كَانَ بِالْأَمْسِ تَوَلَّى كَالضُّبَابِ
تَفَرَّطُ الْأَنْفَاسُ عَقْداً مِنْ حَبَابِ
- الْبِدَائِعِ وَالطَّرَائِفِ -

ميخائيل نعيمة

أنت الإنسانية

أنت الإنسانية بكاملها .
أنت ألفتها وياؤها . منك تتفجر ينابيعها . وإليك تجري . وفيك تصب .
أنت حاكمها ومحكومها . وظالمها ومظلومها . وهادمها ومهدومها .
أنت واهبها وموهوبها . وناكبها ومنكوبها . وصالبها ومصلوبها .
أنت فقيرها وغنيها . وضعيفها وقويها . وظاهرها وخفيها .
أنت جلادها ومجلودها . وناقدها ومنقودها . وحاسدها ومحسودها .
أنت ربيعها وخسيسها . وأثيمها وقديسها . وملاكها وإبليسها .
أنت ابن كل أب وأم . وأبو كل أخ وأخت . وأنا كائناً من كنت ، لا
مهرب لي منك . ولا لك مني . لأتلك أنا . وأنا أنت وكلانا الإنسانية بأسرها .
لولاك لما كنتُ كما أنا . ولولاي لما كنتَ كما أنت .
ولولانا لما كان سوانا كما هو .
لولا الذين سبقونا لما كنا ، ولولانا لما كان في رحم الزمان إنسان .
أفي قلب جارك سعادة ؟ - ألا فاغتنب بسعاده لأن في نسيجها خيطاً من
نسج روحك . وما همك أراأت عين جارك ذلك الخيط أم لم تره . فالعين
التي ترى كل شيء تراه .
أفي قلب جارك حرقة ؟ - فليحترق قلبك بها لأن في نارها شرارة من
موقد بغضك وإهمالك .

أفي عين جارك دمعة؟ - فلتدمع بها عينك لأن فيها ذرة من ملح قساوتك .

أعلى وجه جارك بسمه؟ - فليسم لها وجهك لأن في حلاوتها شعاعاً من نور محبتك .

أجارك في السجن لجريمة اقترفها؟ - ألا فأرسل بعضاً من قلبك معه إلى السجن لأنك شريكه في جريمته وإن لم تحاكمك السلطة المشروعة بشرائعها ولم يقض بسجنك رجل مثلك .



أمس رأيتك ترقص وتصيح في الناس: «صفقوا! صفقوا!» أأنت ترى أن الحياة الجدلة فيك لا ترقص إلا إذا صفق لها جذل الحياة في سواك . فما بالك لا تصفق عندما يرقص الغير؟ .

أمس سمعتك تشكو وتنوح: «اسمعوني أيها الناس . أنصفوني أيها الناس . فأنا مظلوم» .

وممن تود أن ينصفك الناس إلا من أنفسهم؟ فإذا كنت تشكو الناس للناس فعلام لا تصغي لشكواهم منك وتنصفهم من نفسك؟ .

أمس رأيتك تحصي أرباحك . وتربت نفسك معجباً بدهائك وما سمعتك تقول: «هذا ما أكسبنيه الناس» . واليوم رأيتك تحسب خسائك لاعناً دهاء غيرك . وسمعتك تقول: «هذا ما سلبنيه الناس» . أو لا تخجل من أن تكون في الحياة شريكاً «مضارباً»؟ .

أنت الإنسانية بكاملها عرفت ذلك أم جهلته . وأنا صورتك ومثالك . فأين تهرب مني إلا إذا هربت من نفسك؟

وإن أنت هربت من نفسك - فمن أنت؟

- المراحل -

من الفصل الثالث والثلاثون

في الليل - سيد المنشدين

مرداد: في هدأة هذا الليل يؤدّ مرداد أن يسمع وإياكم أناشيد الليل.
أزعوا الليل سمعكم. فالليل لا شكّ سيد المنشدين. من شقوق الماضي
السحيق، ومن ثكنات المستقبل القصي؛ من قباب السماء ومن أحشاء الأرض
تندفق أصوات الليل أمواجاً متتالية تغمر الكون أدناه وأقصاه. وإذا تمرّ بأذانكم
تدور من حولها طالبة الدخول. ألا انزعوا الأوقار من آذانكم كيما يتاح لكم
أن تسمعوا.

إنما الليل ساحر يجلو بخوارق سحره كل ما يغشيه النهار الصاخب
بلهوه وعبثه. أما ترون إلى القمر والكواكب كيف تحتجب بوهج النهار فلا
يميط حجابها إلا الليل؟ أم لا ترون إلى الأصوات التي يخنقها النهار
بضوضائه كيف تُبعث حياة على أوتار الليل النشوان بألحان السكينة؟ حتى
الأعشاب تنشد أحلامها في نشيد الليل.

اسمعوا الأفلاك في دورانها ترثم تهويده السرير.

للطفل العملاق الهاجع في سرير من الرمال الغوّارة الغدارة.

بل الملك المتدثر بأسمال الصعاليك.

بل البرق المصفّد بالحديد.

بل الإله المُقمّط بالمُقمّط.

واسمعوا الأرض تعاني في آنٍ أوجاع المخاض

وثرُضع البنين وتنمِيهم وتزوجهم ثم تدفّنهم.

ففي الغابات تزمجر الضواري مترصدة فريسة، أو منقضة على فريسة،
أو ممزقة تمزيق الفريسة.

والدبابات تدب في سبيلها.

والهوام تطن أناشيدها السرية.

والعصافير الغافية على الأفنان تردّد في أحلامها أقاصيص المروج
وأغاني الجداول.

وكل ما في الغاب من شجر وأدغال، ومن جماد ومتحرك، يرشف
الحياة بأكواب الموت.

من كل قنة ومن كل واد،

من صدور الصحارى ومن قعور البحار،

من الفضاء ومن تحت التراب،

ترتفع أصوات الليل متحدية الإنسان - ذلك الإله المحجّب بالزمان
والمكان - أن ينزع عنه حجابيه.

اسمعوا أمّهات العالم كيف يُعولن ويولولن.

وآباء العالم كيف يثنون ويلهثون.

اسمعوا أبناءهم وبناتهم يَعدون من المدفع وإلى المدفع مبكتين الله،
لاعنين القدر.

متظاهرين بالمحبة ونافثين البغضاء.

شاربين الحماسة لترشح من عروقهم جبناً وخوفاً.

هارقين نجيعهم على النيران المشبوبة من حولهم والزاحفة حثيثاً عليهم
زحف الحمم من البركان.

اسمعوا أمعاءهم الجافة تتقطّع،

وأجفانهم المقرحة ترف رقة البله المذعور،

وأنا ملهم الذاوية تفتش على غير هدى عن جيف آمالهم،
وقلوبهم المفجوعة تتمدد ثم تتفطر أكداً فوق أكداً.
اسمعوا قعقة الآلات الجهنمية.

ثم اسمعوا المدن العاتية تنهار إلى الحضيض،
والأبراج الشامخة تدق بأيديها دقات حزنها،
ومعالم الماضي تتخبط في برك من الدماء والأوحال.
اسمعوا صلاة البارّ تمتزج بفحيح الفجور،
وتتمتع الطفل الطهور تتزواج مع نميمة اللامة،
وبسمة العذراء الخجول تغرد مع كيد البغي،
ووجد الشجاع المتوهج يدندن خواطر الوغد والجبان،
في كل خيمة لكل عشيرة،

وفي كل بيت لكل أمة،

يقرع الليل للإنسان طبل القتال.

غير أن الليل إذ يرثم تهويده السرير للإنسان،

وإذ يقرع الطبل للقتال،

يعود فيسكب كل ذلك بسحره الفائق الإدراك

في نشيد واحد أدق وأرق من أن تستوعبه الأذن.

هو نشيد سمّت نبراته، وجلّت وقفاته،

وبعد قراره، وفاضت حلاوته إلى حدّ أن أعذب ما تنشده الملائكة

ليست إزاءه سوى ثرثرة وجلبة.

ذلك هو نشيد الإنسان المتغلب.

إن الجبال المثقلة بالنعاس في أحضان الليل،

والفيافي الغارقة في لجج من الذكريات،
والبحار الماشية أبدأ في نومها،
والدراري الهائمة في فضائها،
والساكنين في مدن الأموات،
والثالوث الأقدس مع إرادته الكلية،
كل هذه وكل هؤلاء يبتهجون بأن يحيوا الإنسان المتغلب،
وأن ينشدوا له نشيد الغلبة.
فيا لطوبى السامعين والمستوعبين!
يا لطوبى مَنْ إذا ما لقهم الليل بعزلته كانوا كالليل هدوءاً وعمقاً
واتساعاً.
فما صفعتهم في الظلام آثام اقترفوها في الظلام،
ولا حرقت أجفانهم عبرات سكبتها عيونٌ غير عيونهم وكانوا السبب في
سكبتها،
ولا شعروا بأيديهم يتأكلها حكاك الأذية والطمع،
ولا بأذانهم يحاصرها فحيح أهوائهم،
ولا لدغت أفكارهم أفكارهم،
ولا كانت قلوبهم مباءة لكل أصناف الهموم المغيرة بغير انقطاع من كل
نخروب من نخارب الزمان،
ولا أدمغتهم تربة تحفر فيها المخاوف والأنفاق والخنادق، - الذين في
مستطاعهم أن يخاطبوا الليل بكل جرأة قائلين: «ألا أغلينا للنهار» وأن يقولوا
لنهار: «ألا أغلينا لليل».
أجل طوباهم مثنى وثلاث أولئك الذين إذا ما لقهم الليل بعزلته أحسوا
ذواتهم مدوزنين ومطمئنين وغير متناهين كالليل.

فلهم وحدهم ينشد الليل نشيد المتغلبين .
إذا شئتُم أن تعابها مخرقات النهار ودسائسه ومثالمه ،
وجباهكم عالية لامعة ، وأحداقكم تشعّ ثقةً وإيماناً ، فأسرعوا إلى كسب
صداقة الليل .

صادقوا الليل .

اغسلوا قلوبكم بدمائكم وأودعوها قلب الليل .
ثم ضعوا في راحة الليل حينكم عارياً من كل زخرف وغش ،
ثم اسفحوا على أقدامه دماء كل مطامحكم ما خلا مطمح الوصول إلى
الانعتاق بواسطة الفهم المقدس .

وعندها تصبحون في مأمن من حمم النهار وسهامه .
ويشهد لكم الليل أمام الناس بأنكم حقاً متغلبون .
إذ ذاك ، وإن تقاذفتكم أيدي نهارات محمومة ،
وغمرتكم بدجئاتها ليالٍ عمياء ،
فوجدتموكم على مفارق طرق العمال ، منبذين منسيين ،
ولا من يدٍ أو من علامةٍ تدلكم على الطريق ،
بقيتم ، مع ذلك ، أقوى من أي إنسان وأي ظرف ،
وقط ما خامركم شكّ في أن الأيام والليالي ، والناس وغير الناس ،
سيفتشون عنكم في النهاية ،

ويأتونكم صاغرين ومتوسلين لتقودوهم إلى المحجّة .
ذلك لأنكم نلتم ثقة الليل . ومن كانت له ثقة الليل كان في قدرته أن
يقود النهار الآتي .

أزعوا سمعكم قلب الليل . ففيه ينبض قلب الإنسان المتغلب .
لو كان في عيني دموع لأرقتها في هذا الليل أمام كلّ نجم وكل ذرة

تراب، وكل جدول يعدو وجدجد يشدو، وكل بنفسجة تنشر روحها العطر
على كف النسيم، وكل هضبة ووهدة، وكل عشة خضراء - أجل لأرقتها أمام كل
ما في هذا الليل من السلام والجمال كفارة عن عقوق الناس وجهلهم البربري .

فالناس، وهم أرقاء الفلاس الأذلاء، لاهون في خدمة مولا هم عن سماع
أي صوت والامثال لأي إرادة إلا صوت الفلاس وإرادته .

ويا لخدمة مولى الناس ما أشقها وما أفظعها من خدمة! فهي تقضي
على الناس بتحويل عالمهم إلى مسلخ هم فيه القصابون والمقصّبون. هكذا،
وقد سكرُوا بالدم، يذبح الناسُ الناسَ موقنين أن الذابح يرث حصّة المذبوح
في كل بركات الأرض وهبات السماء .

يا لتعسهم ويا لغرورهم!

أسمعتم يوماً بذئٍ افترس ذئباً فأصبح حملاً؟

أم بأفعى سحقتم أفعى وابتلعها فصارت حمامة؟

أم بإنسان قتل إنساناً فورث خيراته دون ويلاته؟

أم بأذن وقّرت شقيقتها فغدت من بعدها أرهف سمعاً وأوفر استمتاعاً
بحلاوة مغاني الحياة؟

أم بعين سملت رفيقتها فباتت أجلى من ذي قبل وأقدر على استجلاء
جماليات الوجود؟

أعلى البسيطة إنسان أو جيش من الناس في مستطاعهم أن يستوعبوا
خيرات ساعة واحدة سواء أكانت من الخبز والخمر، أم من الثور والسلام؟

لا تلد الأرض أكثر مما في قدرتها أن تغذي . والسماء لا تسرق ولا
تستجدي من أحدٍ قوتاً لأبنائها .

كذب القائلون للناس: إذا ما شئتم أن تشبعوا فاقتلوا ورثوا الذين
تقتلون . - إذ أنى لمن ما درى كيف ينعم ويسمن بمحبة الناس، وبلبن
الأرض وشهدها، وبعطف السماء وحنانها، أن ينعم ويسمن بدموع الناس
ودمائهم وحسراتهم؟ .

كذب القائلون للناس: كل أمة لذاتها. - كيف لأمة الأربع والأربعين أن تتقدّم قيد قيراط إذا راحت كل رجل من أرجلها تمشي في وجهة معاكسة لرفيقاتها أو تعمل على إتلاف رفيقاتها؟ أليست الإنسانية أم أربع وأربعين هائلة وكل أمة بمثابة رجل من أرجلها؟ .

كذب القائلون للناس: أن تحكّموا شرف. وأن تحكّموا عار. - أليس أن سائق الحمار مقود بذيل حماره؟ أليس السجان أسير سجينه؟ حقاً إن الحمار ليسوق قائده. والسجين ليسجن سجانه.

كذب القائلون للناس: السباق للسرّيع. والحق للقوي. - فالحياة ما كانت يوماً سباق عضلات وأعصاب. فكم من كسيح أو مشوّه بلغ القمة قبل الصحيح. وكم من بعوضة صرعت مصارعاً.

كذب القائلون للناس: إن الإساءة لا تمحوها إلا الإساءة. فحتى اليوم ما ولدت إساءتان حقاً واحداً. دعوا الإساءة وشأنها. فهي كفيلة بأن تمحو ذاتها بذاتها. واعلموا أن ظلم الناس للناس هو عدل الإرادة الكلية في الناس.

لكنما الناس أعرار. فما أسرع ما يصدقون فلسفة الفلاس وأعوانه الأوغاد، وما أطوعهم في ترضيتهم. أما الليل الذي ينشد لهم نشيد الانعتاق، بل الله الذي هو الانعتاق، فلا يصغون لهما ولا يحفلون بهما. فلا عجب يا رفاقي إذا هم وسموكم بسمة الجنون والشعوذة.

لا يثقلن عليكم عقوق الناس وتهكمهم اللاذع. بل اعملوا بمحبّة فياضة وصبر لا نفاد له من أجل خلاصهم من نفوسهم ومن طوفان النار والدم الذي سيدهمهم قريباً.

لقد آن الأوان للناس أن يكفّوا عن ذبح بعضهم بعضاً.

فالشمس والقمر والنجوم ما تزال منذ الأزل ترتقب العين التي ستبصرها وتفهمها؛ وكتاب الأرض الفكر الذي سيفك أغازه؛ ومسالك الفضاء الأقدام التي ستسلكها؛ وخيط الزمان المعقد اليّد التي ستحلّ عقده؛ وعبير الوجود الأنف الذي سيتشقه؛ ومغاور الألم المنجنيق الذي سيدمرها؛ ووجار الموت

الغازي الذي سيغزوه فيتركه خراباً؛ وخبز الفهم الذي سيتذوقه؛
والإنسان - ذلكم الإله المحجّب - مَنْ سيميط عنه حُجبه .

أجل، لقد آن الأوان للناس أن يكفّوا عن سلب الناس ونهبهم وأن
يوخّدوا صفوفهم للقيام بالمهام الكبيرة التي تنتظرهم .

خطيرة هي تلك المهام وثقيلة . لكننا الفوز أحلى من أن يوصف،
وأجلّ من أن يقدر . وكل ما عداه تافه وضئيل وديميم .

بلى، لقد آن الأوان . ولكن ليس للجميع . فلن يسمع هذا النداء إلا
القليل . أما الباقيون فلا بدّ لهم من انتظار نداء غير هذا النداء وفي فجر غير
هذا الفجر .



من كتاب «كرم على حرب»

لكل كلمة أذن. ولعل أذنك ليست لكلماتي. فلا تتهمني بالغموض.



من مشى وظهره إلى الشمس مشى مقوداً بظله.



قيل لمراب: غداً تقوم القيامة. فصاح: واطربي! إذا تقوم صكوكي
التي ماتت بمرور الزمن.
الكبرياء والذل توأمان متلاصقان.



أدخلني قلبك أيها الليل لعلني أبصر قلب النهار.
كما في قلب الزارع كذلك في قلب السنبلة.



جلس شاعر في ظلّ صخرة يرثي حظه وقد هجرته حبيبته. وكان على
الصخرة شحورور يغني. فعاتبه الشاعر قائلاً:
لمن تغني وشحوروتي التي كانت تطرب لغنائك طارت من ههنا ولن
تعود؟.

فأجابه الشحورور:

ولكن شحوروتي ما تزال في الوكر والحمد لله.



كيف تقول لي «وداعاً»؟ ألعلك ذاهب أبعد من الله؟.



الآة

غداً أرذ هباتِ الناسِ للناسِ
وعن غناهم أستغني بإفلاسي
وأستردّ رهوناً لي بذمتهم
فقد رهنت لهم فكري وإحساسي
ورحت أتجر في أسواق كسبهم
فما كنسبت سوى هم ووسواس
وكم فتحتُ لهم قلبي فما لبثوا
أن نضبوا بغلّهم في قدس أقداسي



غداً أعيد بقايا الطّين للطينِ
وأطلق الروح من سجنِ التّخامينِ
وأترك الموت للموتى ومَن وَلَدُوا
والخير والشرّ للدنيا وللدّينِ
وألبس العري درعاً لا تحطّمه
أيدي الملائك أو أيدي الشياطينِ
فلا تروّعني نار الجحيم ولا
مجالس الحور في الفردوس تغريني



غداً أجوز حدود السمع والبصرِ
فأدرك المبتدأ المكنون في خبري

فلا كواكب إلا كان لي سُبلٌ
فيها، ولا تربة إلا بها أثري
لي في القضاء قضاءً والمنون مني
وفي مُلاحمة الأقدار لي قدري



غداً؟ ... ولا أمس لي حتى أقول غداً
فلتمحها «الآن» من نطقي ومن فكري

- همس الجفون -

إيليا أبو ماضي

روحي فدائك

لَمَّا رَأَيْتَ الْوَرْدَ فِي خَدَّيْكَ
وَشَقَائِقَ النِّعَمَانِ فِي شَفَتَيْكَ
وَعَلَى جَبِينِكَ مِثْلَ قَطْرَاتِ النَّدَى
وَالنَّارِجِسِ الْوَسْنَانِ فِي عَيْنَيْكَ
وَنَشَقَّتْ مِنْ فُودَيْكَ نَدًّا عَاطِرًا
لَمَّا مَشَتْ كَفَّاكَ فِي فُودَيْكَ
وَرَأَيْتَ رَأْسَكَ بِالْأَقْحَاحِ مَتَّوِّجًا
وَالْفَلَ طَاقَاتٍ عَلَى نَهْدَيْكَ
وَسَمِعْتَ حَوْلَكَ هَمْسَ نَسَمَاتِ الصَّبَا
عِنْدَ الصَّبَاحِ تَهْزُ مِنْ عَطْفِيكَ
أَيَقْنَنْتَ أَنَّكَ جَنَّةٌ خَلَابَةٌ
فَحَنَنْتَ مِنْ بَعْدِ الْمَشْيِبِ إِلَيْكَ
وَلِذَاكَ قَدْ صَيَّرْتَ قَلْبِي نَحْلَةً
يَا جِئْتَنِي حَتَّى تَحُومَ عَلَيْكَ
رُوحِي فِدَاؤُكَ إِنَّهَا لَوْلَمْ تَكُنْ
فِي رَاحَتَيْكَ هَوْتِ عَلَى قَدَمَيْكَ...

- تَبْرَ وَتَرَابَ -

وطن النجوم

وطنَ النجوم .. أنا هنا
ألمحت في الماضي البعيد
جدلان يمرح في حقولك
يتسلق الأشجار لا ضجراً
ويعود بالأغصان يبريها
ويخوض في وحل الشتاء
لا يثقي شرّ العيون



أنا ذلك الولد الذي
أنا من مياهاك قطرة
أنا من ترابك ذرة
أنا من طيورك بلبل
حمل الطلاقة والبشاشة
كم عانقت روعي رباك
للأرز يهزأ بالرياح
للبحر ينشره بنوك
للليل فيك مصلياً
للشمس تبطئ في وداع
للبدن في نيسان يكحل
فيذوب في حدق المهى
للحقول يرتجل الروائع
للعشب أثقله الندى

دنياه كانت ههنا!
فاضت جداول من سنا
ماجت مواكب من منى
غنى بمجدك فاغتني
من ربوعك للذنى
وصفقت في المنحنى؟
وبالدهور وبالفنا
حضارة وتمذنا
للصبح فيك مؤذنا
ذراك كيلا تحزنا
بالضيء الأعينا
سحراً لطيفاً ليّنا
زنيقاً أو سوسنا
للغصن أثقله الجنى

عاش الجمال مشرداً
حتى انكشفت له فألقى
واستعرض الفن الجبال
لله سرّ فيك يا
خلق النجوم وخاف أن
فأعار أرزك مجده
زعموا سلوتك . . ليتهم
فالمرء قد ينسى المسيء
ومرارة الفقر المذلّ
لكنه مهما سلا

في الأرض ينشد مسكنا
- رحله وتوطننا
فكنت أنت الأحسننا
لبنان لم يعلن لنا
تغوي العقول وتفتنا
وجلاله كي نؤمننا
نسبوا إليّ الممكننا
- المفترى والمحسننا
بلى، ولذات الغنى
هيهات يسلو الموطنا
- تبر وتراب -

ابتسم

قال: «السماء كثيبة!» وتجهما
 قال: الصبا ولّى! فقلت له: ابتسم
 قال: التي كانت سمائي في الهوى
 خانت عهودي بعدما ملكتها
 قلت: ابتسم واطرب فلو قارنتها
 قال: التجارة في صراع هائل
 أو غادة مسلولة محتاجة
 قلت: ابتسم ما أنت جالب دائها
 أكون غيرك مجرماً وتبيت في

قلت ابتسم يكفي التجهّم في السما!
 لن يرجع الأسف الصبا المتصرّما!
 صارت لنفسي في الغرام جهنّما
 قلبي، فكيف أطيع أن أتبسّما؟
 قضيت عمرك كلّ متألّما!
 مثلُ المسافر كاد يقتله الظما
 لدم وتنفث، كلما لهثت، دما!
 وشفائها، فإذا ابتسمت فربما .
 وجل كأنك أنت صرت المجرما؟



قال: العدى حولي علت صيحاتهم
 قلت: ابتسم، لم يطلبوك بدمهم

أأسرّ والأعداء حولي في الحمى؟
 لو لم تكن منهم أجل وأعظما!



قال: المواسم قد بدت أعلامها
 وعليّ للأحباب فرض لازم
 قلت: ابتسم، يكفيك أنك لم تزل

وتعرضت لي في الملابس والذمى
 لكن كفى ليس تملك درهمما
 حياً ولست من الأحبة معدما!



قال: الليالي جزعتني علقماً
 فلعل غيرك إن رآك مرئماً
 أترك تغنم بالتبرّم درهمما
 يا صاح، لا خطر على شفتيك أن
 فاضحك فإن الشهب تضحك والدجى
 قال: البشاشة ليس تسعد كائناً
 قلت: ابتسم ما دام بينك والردى

قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما
 طرح الكأبة جانباً وترئما
 أم أنت تخسرُ بالبشاشة مغنما؟
 تتلّما، والوجه أن يتحطّما
 متلاطم، ولذا نحبّ الأنجما!
 يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغما
 شبر، فإنك بعدُ لن تتبسّما

من قصيدة «الطلاس»

جئت لا أعلم من أين، ولكنني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبى
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقني؟
لست أدري

أجديذ أم قديم أنا في هذا الوجود
هل أنا حرّ طليق أم أسير في قيود
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود
أتمننى أنني أدري ولكن
لست أدري

وطريقني ما طريقني؟ أطويل أم قصير؟
هل أنا أصعد أم أهبط وأغور
أنا السائر في الدرب أم الدرب يسير
أم كلانا واقفٌ والدهر يجري؟
لست أدري

ليت شعري وأنا في عالم الغيب الأمين
أتراني كنت أدري أنني فيه دفين
وبأنني سوف أبدو وبأنني سأكون
أم تراني كنت لا أدرك شيئاً؟ ...
لست أدري



أتراني قبلما أصبحْتُ إنساناً سوياً
كنتُ محوياً أو محالاً أم تراني كنتُ شيئاً
أل هذا اللغز حلٌّ؟ أم سيبقى أبدياً
لستُ أدري.. ولماذا لستُ أدري؟..
لستُ أدري

- الجداول -

رشيد أيوب

هل يا ترى نعوذ

هل يا ترى نعوذ	إليك يا لبنان
فتصدق الوعوذ	ويسمح الزمان
ونقطف العنقوذ	مننوع الألوان
هل يا ترى نعوذ	إليك يا لبنان



ما أحسن السهز	في خلوة الكروم
وبيننا القمز	وقربنا النجوم
فهذه الصور	تمر كالغيوم
هل يا ترى نعوذ	إليك يا لبنان



زقزقة العصفور	ورعشة الأغصان
حتى ترى الصخور	ندية الألوان
وعتمة الديجور	تشتقها العينان
هل يا ترى نعوذ	إليك يا لبنان



كم سحت في المعمور	ما غزني منظر
فبلدي المهجور	وأرزي الأخضر
أحلى من القصور	والذهب الأصفر
هل يا ترى نعوذ	
إليك يا لبنان	

أمين الريحاني

مبادئ

لي منية غير الشهرة والمجد، غير الثروة والغنى، غير السرور والسعادة. منيتي الأولى أن أكون بسيطاً في أعمالي. صادقاً في أقوالي مستقيماً في آرائي طبيعياً في تصرفي، وبكلمة أن أكون نظيف العقل والقلب والجسم، بعيداً عن التصنع والصلف والزخرفة، بعيداً عن الخوف والجبانة والخجل، بعيداً عن الرياء والتدليس والكذب. أريد أن أُنقبّل كل ما يقابلني من الصعوبات في طريق الحياة بثبات وصبر.

أود أن أعيش دون أن أبغض، وأحب دون أن أغار، وأرتفع دون أن أترفع، وأتقدم دون أؤخر من هم دوني أو أحسد من هم فوقي. هذه هي سنتي، وللغير أن يتخذوا لهم سنة توافقهم. للغير أن يتخذوا نفس الخطوة إذا شأوا أو استطاعوا. ليس من شأني أن أتدخل في شؤونهم أو أن أعظمهم متهدداً أو أرشدهم منذراً.

عليّ أن أعيش صادقاً مسالماً مستقيماً، وعليهم أن يعيشوا كما يطيب لهم. ولكن الواجبات التي أطلبها لنفسي هي واجبة لكل فرد على الإطلاق في كل مكان. وكما أنني أعترف للغير بهذه الحقوق والواجبات أحب أن يعترف لي الغير بها أيضاً.

لا أريد أن أنصح متى كانت نصيحتي غير مطلوبة، ولا أن أساعد متى كانت خدمتي غير لازمة. وإن كنت قادراً على إسعاف أحد أفعل ذلك بطريقة تدفع طالب الإسعاف إلى العمل فيسعف نفسه. وإن كان فيّ ما يلهم الناس إلى الخير ويرفعهم درجة واحدة في سلم الترقّي العقلي الروحي، أريد أن أظهره بالمثل والإشارة والاستتاج وليس بالتبشير والتهديد والتأمر.

أحب أن تشعشع حياتي ولا أحبها أن تفرقع.

- التطرف والإصلاح -

من قصيدة «النَّجْوَى»

يا ذا الجلال الأزلي، ألحفني بشيء من جلالك
يا ذا النور الدائم، أمددني بقبس من نورك
يا ذا القوة غير المتناهية، ابعث منها في قواي



أنا مبدأ الحياة الأزلية، وعين الحب والقوة
وإني حي فيك، عليم بنجاويك
أنت الحياة بأجمعها، أولاً وآخرأ، وإني لأحيا بك
أنا مصدر الإدراك البشري
وسأزيدك إدراكاً بأنك جزء مني
ساعدني اللهم لأجمع قواي الروحية، والعقلية،
والجسدية في سبيل الحق والحب والحكمة
إني أيها الإنسان مصيخ إليك، مطلق يديك، منعم عليك
أيها الينبوع السرمدي
المنبعثة منه أنوار الحب
المتدفقة منه مياه الحياة والعافية
إني أفتح لك عقلي وقلبي، وأبسط أمامك روحي
فلا تحرمني فيض مكارمك، ولا تبعدني عن يناييعك . . .

- هتاف الأودية -

فوزي المعلوف

من ملحمة «على بساط الريح»

ملك في الهواء

- ١ -

في عُباب الفضاءِ فوقَ غيومه
فوق نسرهِ
ونجمته
حيثُ بُتَّ الهوى بثغر نسيمه
كلَّ عطره
ورقته
موطنُ الشاعر المحلّق - منذ
البدء - لكن بروحه لا بجسمه
أنزلته فيه عروسُ قوافيه
بعيداً عن الوجود وظلمه
ملكٌ قبةُ السماءِ له قصرٌ
وقلبُ الأثير مسرحُ حكمه
ضاربٌ في الفضاء موكبه النور
وأتباعه عرائس حلمه

مُلْكُهُ رُكْنُهُ الْهَوَاءُ وَمَا أَقْوَاهُ
 رُكْنًا قَامَ الْخُلُودُ بِدَعْمِهِ
 عَرْشُهُ سِدَّةُ السَّحَابِ عَلَيْهَا
 نَفْضُ اللَّيْلِ كُلِّ رَهْبَةٍ رَسْمِهِ
 تَاجُهُ هَالَةٌ يَنْصُدُّ فِي فَضَّتِهَا
 الْأَفُقُ بَذَرَهُ قَرَبُ نَجْمِهِ
 وَالْدَجَى طِيلَسَانُهُ فَاحِ كَافُورٍ
 دَرَارِيهِ فَوْقَ عَنِيرِ فَحْمِهِ
 وَالثَّرِيَّا فِي كَفِّهِ صَوْلَجَانُ
 دَرَاهِمُهُ لَمَّةُ الصَّبَاحِ بِكَمِّهِ
 مَلِكُ طَائِرٍ بِغَيْرِ جَنَاحَيْنِ
 بِأَمْرِ الْخِيَالِ يَقْضِي وَبِاسْمِهِ
 يَا جَنَاحَ الْخِيَالِ أَقْوَى جَنَاحِ
 أَنْتَ يُلَوِّى ظَهْرُ الرِّيحِ لَصَدْمِهِ
 لَيْتَ شَعْرِي مَا الشَّاعِرُ ابْنُ لَهْذِي
 الْأَرْضِ إِلَّا بِلَحْمِهِ وَبِعَظْمِهِ
 فَإِذَا اخْتَارَ هَجَرَهَا بِرِضَاهُ
 أَفَمَا جَاءَهَا مَقُودًا بِرَغْمِهِ
 هُوَ مِنْهَا وَلَيْسَ مِنْهَا فَمَا زَالِ
 غَرِيبًا مَا بَيْنَ أَبْنَاءِ أُمِّهِ

روح الشاعر

- ٢ -

أَيُّ رُوحٍ فِي بَرْدَةِ الشَّعْرَاءِ
 رَفَعْتَهُمْ

على الهواء
أبعدتهم عن عالم الأحياء
قربتهم
من السماء

.....

أنت يا روحهم من نور ذرات
أضاءت في الكون في عالميه
تصل الأرض والسماء بنهر
غمر الحسن والهوى ضفتيه
لست من عالم التراب وإن كنت
تقمصت بالتراب عليه
أنت من عالم بعيد عن الأرض
يفيض الجلال عن جانيه
نسمة الشعر أنت فيه تبئين
أريخ الشعور في بردته

هو فردوسك السحيق فلا الإثم
ولا الشر يبلغان إليه
وفتى الشعر فيه يستنزل الوحي
بياناً يجثو الخلود لديه
حافراً باللظى على مصحف
الأفق سطوراً تُنير في دفتيه
ما احمرار الأصيل غير لهيب
شع من قلبه على مقلتيه

وركامُ السحاب غير دخان
نفثته الهمومُ مِن شفثيه
ما أنينُ الرياحِ غير زفير
نزعتَه الرياحُ من رثثيه
ونواح الطيور غير عويل
نقلته الطيور عن أصغريه
ما ندى الفجر غير لؤلؤ دمع
رشفته الأزهار من محجريه
وبريق النجوم غير شطايا
كأس حبّ تحطمت في يديه

العبد

- ٣ -

بينَ روحي، وبين جسمي الأسيرِ
كان بعد
ذقت مرّه!
أنا في الأرض، وهي فوق الأثير
أنا عبد
وهي حرّة!
أنا عبد الحياة والموت، أمشي
مكرّهاً من مهودها لقبوره!
عبد ما ضمّت الشرائع من جورِ
يخطّ القويّ كلّ سطوره
بيراع دُمّ الضعيف له حبر،

ونوحُ المظلوم صوت صريه
أنا عبد القضاء، تملأ نفسي
رهبةً من بشيره ونذيره!
عبدُ عصر من التمدن، نلهو
ضلةً عن لبايه بقشوره
عبدُ مالي، أحظى به بعد جهد
فإذا بي أنوء من ثقل نيره!
عبد اسمي، ذوّبتُ روحي وجسمي
طمعاً في خلوده ونشوره!
عبدُ حبي، أنزلته في فؤادي
فكوى أضلعي بنار سعيه!
أنا في قبضة العبودية العمياء،
أعمى مسيرٌ بغروره!
إنّ جسمي عبدٌ لعقلي، وعقلي
عبدٌ قلبي، والقلب عبد شعوره
وشعوري عبدٌ لحسي وحسي
هو عبد الجمال، يحيا بنوره!
كلّ ما بي في الكون أعمى ومنقاد
على رغمه لأعمى نظيره
غير روحي فالشعر فكّ جناحيها
فطارت في الجوّ فوق نسوره
تنتحي عالم الخلود، لتحيا
حرّة بين روضه وغديره!

حلم فحقيقة

- ٤ -

يا طيورَ السماءِ في الريحِ روحي
بيّ جريا
على الجلد
وبجسمي طيري إلى حيث روحي
فيه تحيا
بلا جسد!
هو حلم مجنّح، رافق الشاعر
يطوي الأجيال جيلاً فجيلاً
خلعت يقظةُ العقولِ جناحين
عليه يحيران العقولا
ما هُما من خرافةٍ وخيالٍ
بل هما من حقيقةٍ وهيولى
صعد الطرف في الأثير تجذني
قاطعاً في الأثير ميلاً فميلاً
خبياً تارة، وطوراً وثيداً
صعداً مرّة، وأخرى نزولاً
فوق طيّارة على صهواتِ الريح
راحت تروّض المستحيلا
هي طير من الجماد كأنّ
الجنّ في صدرها تحثّ خيولا
حمحمت تضربُ الرياح بنعلها
فشقت إلى السّماء سبيلا

ثم مدّت إلى النجوم جناحين
وجرت على السحاب ذيولا
غرقت في الأصيل حيناً، وعامت
بعد حين تعلو قليلاً قليلاً
ترتدي من دخانها بردة الليل
وتُلقي عن منكبيها الأصيل
وعليها من الشرار نجوم
عقدت حول رأسها إكليلاً
حلّقي، حلّقي، وألقي على الأفلاك
رعباً وروعاً وفضولاً
واشهدي في الطيور كراً وفراً
واسمعي في النجوم قلاً وقيلاً

بين الطيور

- ٥ -

قال نسرٌ لآخر: «أيّ طيرٍ
هو هذا؟
ومن رفاقه؟
إن يكن قادماً إلينا لخيرٍ
فلماذا
علا زعاقه؟
يا له طائراً بصورة شيطان
يبثّ اللهبَ بركان صدره
أهو متّ؟ لا لا فلم أر جباراً

كهذا في الجوّ ما بينَ طيره
إنّ قلبي لموجسّ منه شراً
رخ بنا نجتلي حقيقة أمره»
- آدميّ هذا - أجاب أخوه -
جاء يستعمر الأثير بأسره
كرّة الأرض عن مطامعه ضاقت
فحطّت هنا مطامح فكره
نحن لم نهجر البسيطة، إلّا
هرباً منه واجتناباً لشّره
قُم بنا نحشد الطيور وتنقضّ
عليه، نجزيه من مثل غدّره!»
ودوت في الأثير صيحة حرب
ملأته بنسره وبصقره
هو حشد أثار ضربْ خوافيه
غبار السّحاب يعمى بذّره
وإذا بي ما بين أجنحة سود
على الأفق حجّبت وجه بدره
طوّقتني بكلّ فاغر شدي
صامد لي بمخليبه وظفره!
لا تخافي يا طيرُ ما أنا إلّا
شاعرٌ تطرب الطيور لشعره
زارك اليوم متعباً ينشد الراحة
في هدأة السكون وسحره
فرّ عن أرضه فرارك عنها

من أذى أهلها وتنكيل دهره!

رمز الألم

- ٦ -

أنظريه يمشي وفي خطواته

نزوات

من الألم

عائر الجدّ، جدّ تحدو بذاته

نزعات

إلى العدم

غمрте الأحلام بالشفق الوردي

يُغريه بالمنى تعليلًا

وتلاشت حُلماً فحلماً إلى اللاشيء

تمشي به قليلاً قللاً

هو في ميعة الشباب ولو حدّقت

فيه أبصرت، شيخاً هزيلاً

بقوام كأنّ قاصمة الظهر

أناخت عليه حملاً ثقيلاً

وجبين ألقت عليه شجون

النفس ظلاً من العبوس ظليلاً

فهو لا يعرف التبسّم إلّا -

عندما يستعيد حلماً جميلاً!

ألف اليأس قلبه، فهو واليأس

يحاكي بثينةً، وجميلاً

وإذا اليأس صدّ عنه قليلاً
راح يبكي على نَوَاهُ طويلاً!
وإذا ما النسيم مرّ عليه
فعليلٌ أتى يعود عليلاً
حائر الطرف شارد الفكر يحكي
مدلجاً في الظلام ضلّ السبيلاً
تاه في عالم الخيال، فضاعت
نفسه وهي تنشد المستحيلاً
حوّل الأرض عالماً علوياً
قاطراً من وحولها سلسبيلاً
ملاً العالمَ السماويّ شدوّاً
منزلاً منه للورى إنجيلاً
هاك عقدُ النجوم بين يديه
صار بعد انفراطه إكليلاً

حنين المهاجر

وأطول أشواقِي إلى الوادي وادي الهوى والحسن والشعرِ
ملهى صباي ومهد ميلادي وعسى يكون بحضنه قبري

والكرم يكسوه سنى الشفقِ ألوائه ويشعّ بالعنبِ
فترى به صفرة الورق عسلأ بلؤلؤة على ذهبِ



والماء تشعر حين تشربُه بقوى تدبّ به إلى جسدك
ليس الندى والفجر يسكبُه للزهر، أعذب منه في كبدك



وإلى الربى والليل كللها بسكونه المملوء بالسحرِ
ومشى الهوى فيها فظللها بمواكب الأحلام والشعرِ



والنهر ما أحلاه ينتقلُ في حُزن حصباء من الذرِ
تهوي عليه الشهب تغتسلُ في الليل، والأنوار في السحرِ



واهأ على الماضي وأيامه ما كان أسعدها وأقصرها
فرّت فرار لذيذ أحلامه لم تُبق لي إلا تذّكرها



أيام أنس ما أحيلها وأحبّ صورتها إلى فكري
قلبي يذوب جوى لذكراها في أضلعي، ومدامعي تجري



شفيق المعلوف

أغنية الجن

ويحي من يشبع فيّ النهم؟
أكلّما استلقت على معصمي
روح، فقربت إليها فمي
تملّصت... فلم أقبل ولم
أضمّ إلا عذماً في عدم؟



يا تعباً يحني ظهور الوري،
أحبّها أثقالك القاصمة
فإن عبثاً يقصم الأظهرا
أصعب منه الراحة الدائمة



من لي بثغر لاهب تنفرج
ثغرته عن شعلات القبل؟
من لي بلذي قلب خفوق ألج
في صدره... وإن لم يختلج
لعاصف الموت اختلاج الشعل؟



يا حامل الجسم ألا اعطنيه وخذ إذا شئت خلودي ثمن
وشاحي الناري من يشتريه؟ فإنني أبيعك بالكفن...

ويحك يا إنسان ألقى عصا سحر
ذعرت فينا الجان فعُذّن بالشيطان
من شرّك



يا آكل الأموات ورامق النّيّرات
بالأعين الوالهة
لا تمض في عجبك فإنما الآلهة
ليست على دربك ما دام حبّ اللذات
ينحز في قلبك



مهما صقلت حجاك يظلّ مُحلّولك
فليس خلف ضحاك إلّا دجى ليلاك
- من «عبر» -

مي زيادة

من محاضرة عن المرأة (١٩١٤)

... تاريخ المرأة استشهاد طويل أليم، ومن أغرب الغرائب أنها لم تجد لها في القدم صديقاً ولا نصيراً. كانت عامة الشعب تكرهها وتحقرها، وليس ذلك بكثير على قوم جاهلين تحجرت منهم القلوب وصمت الأفهام، فهم لا يدركون شيئاً مما يتجاوز دائرتهم الصغيرة؛ لكنني أرى الأمر عجيباً، بل فظيلاً، من رجال نحسبهم نوابغ زمانهم وقادة أفكار العالم.

لم يذكر شعراء اللاتين من المرأة إلا جمال جسدها، وليس في قصائدهم ما يدل على تلمس آثار النفس من وراء ظواهر الجسد، وجميعهم متفق على تسميتها: الشيطان الجميل أو ينبوع المسرات... وشعراء اليونان... يسمونها ببساطة كَلِيَّة «بلية العالم». أما الفلاسفة فأكتفي بأن أذكر هنا كبيرهم أفلاطون... الذي قضى حياته أسفاً لأته ابن المرأة، وكان يصرح بازدرائه بأمه... وما علم أن امرأة ستعلم الفلسفة الأفلاطونية الجديدة في «مدرسة الاسكندرية» - هيبانيا ابنة تيونوس الرياضي الشهير - التي قتلت رجلاً في شوارع الاسكندرية في أوائل القرن الرابع، فذهبت شهيدة العلم والإخلاص والرغبة في إشهار التعاليم الأفلاطونية الجديدة... وقال بوسويه: خلقت المرأة من ضلع زائد في جنب الرجل، فلهذا السبب هي عقيمة لا ذكاء في عقلها ولا إدراك في نفسها.

لكن مدينة الأمس العرجاء التي لم تتكء إلا على جنس من الجنسين هي غير مدينة الغد التي تبشر بتحقيق الأماني... قالوا: إنها لا تصلح إلا للخدمة البيئية والزينة الجسدية، وها هي اليوم مصلحة كبيرة ومفكرة عاملة. وكم قالوا: إنها حيوان جميل وشيطان لطيف، وها هي ملاك كريم يحاول إفهام الرجل أن في الحياة عنصراً سامياً هو كل الحياة...

وكم قالوا: إنها خبيثة، وإنّ الصديق والإخلاص بعيدان عنها بعد الشمال عن الجنوب، وها هي آخذة في تهذيب نفسها وملاشاة العاهات التي شوّهتها في أزمنة العبوديّة. وكم قالوا: إنّها متردّدة حائرة ذليلة لا تقوى على توليد فكرة ولا تحتمل المسؤولية، وها هي عزيزة النفس شديدة الحرص على الاستقلال منحنية بحرقة على معاني الحياة العميقة. . .

وكم قالوا: إنّ المعارف لم تخلق للمرأة وإنّ العلم يذهب بجمالها وتواضعها ولطفها. . . وقد فاتهم أنّ المرأة الراقية وحدها تعرف أنّ لها فخراً واحداً وهو أن تكون أمّاً بكلّ معنى الكلمة وبجميع المعاني التي تحملها هذه الكلمة. . .

صوتها يرتفع الآن آتياً من بعيد، من عمق أعمق الدهور السوداء. . . أيتها الرجل! لقد أذلتني فكنت ذليلاً. حرّمني لتكون حراً. حرّمني لتحرّر الإنسانية.

الأخطل الصغير

عش أنت

عش أنت، إني مت بعذك
وأطل إلى ما شئت صدك
ما كان ضرك لو عدلت
أما رأيت عيناك قدك
وجعلت من جفني متكئاً
ومن عيني مهديك
ورفعت بي عرش الهوى
ورفعت فوق العرش بندق
وأعدت للشعراء سيدهم...
وللعشاق عبك



يا من أساء بي الظنون،
ثلمتني وثلمت حدك
إن لم يكن أدبي، فخلقك
كان أولى أن يصصدك...
أغضاضة يا روض إن
أنا شاقني، فشمت وردك
وملامة يا قطر إن

أنا راقني، فأمرت وردك؟ ...
أنقى من الفجر الضحك
فهل أعرت الفجر خذك
وأرق من طبع النسيم
فهل خلعت عليه بردك
والذ من كأس النديم
فهل أبحت الكأس شهديك؟ ...
وحياة عينك، وهي عندي
مثلما القرآن عندك
ما قلب أمك، إن تفارقها
ولم تبلغ أشدك
فهوت عليك بصدرها
يوم الفراق لتستردك،
بأشد من خفقان قلبي
يوم قيل خفرت عهدك

جَفَنُهُ عَلَّمَ الْغَزَلَ

جَفَنُهُ عَلَّمَ الْغَزَلَ	ومن العلم ما قتل
فحرقنا نفوسنا	في جحيم من القبل
ونشذنا، ولم نزل،	حلّم الحب والشباب
حلّم الزهر والسدى	حلّم اللهو والشراب
هاثها من يد الرضى	جرعة تبعث الجنون
كيف يشكو من الظمأ	من له هذه العيون
يا حبيبي، أكلّما	ضمّنا للهوى مكان
أشعلوا النار حولنا	فغدونا لها دخان
قل لمن لام في الهوى،	هكذا الحسن قد أمر
إن عَشِقْنَا... فعذرنا	أنّ في وجهنا نظره

فِي عَيُونِهِ خَيْرٌ

قَدْ أَتَاكَ يَعْتَذِرُ
كَلِّمَ مَا أَطْلَقَ لَهُ
فِي عَيُونِهِ خَيْرٌ
قَدْ وَهَبَتْهُ عَمْرِي
حُبُّنَا الَّذِي نَشْرُوا
صُؤْخَاتِ أَزَاهِرُهُ
عَذْفَعْنِكَ يَوْئُسُنِي
قَدْ وَفَى بِمَوْعِدِهِ
لَا تَسْأَلُهُ مَا الْخَيْرُ
فِي الْحَدِيثِ يَخْتَصِرُ
لَيْسَ يَكْذِبُ النَّظَرُ
ضَاعَ عِنْدَهُ الْعَمَرُ
مَنْ شَذَاهُ مَا نَشْرُوا
قَبْلَ يُغَقِّدُ الثَّمَرُ
فِي سَمَائِهِ الْقَمَرُ
حِينَ خَانَتِ الْبَشَرُ

يا عاقِدَ الحاجبين

على الجبين اللّجينِ
قتلتني مرتين
وما هممتُ بشّينِ
أم رعدةً في اليدين
بين الرصيفِ وبينِي
ولا أذنتُ لعيني
وملأ عيناك عيني
ويلى من الأحمقين
حيأسوى رمقين
وجدي وقربَ حنيني
وليسَ هذا بهيّن
عليك في المشرقين

يا عاقِدَ الحاجبين
إن كنت تقصد قتلي
ماذا يُريبك مني
أصفرةً في جبیني
تمرُّ قفُزَ غزالٍ
وما نصبتُ شباكِي
تبدو كأن لا تراني
ومثلُ فعلِكَ فعلي
مولاي لم تبقي مني
صبرتُ حتى براني
ستحرّمُ الشعرَ مني
أخافُ تدعو القوافي

بيروت

فدتِ المنائرُ كُلُّهُنَّ منارةً
هي في فم الدنيا هدىً وتبسُّمُ
ما جئَتْهَا، إلا هداك معلِّمُ
فوقَ المنابرِ، أو شجاك متيِّمُ
بيروت، هل ذرقت عيونك دمةً
إلا ترشَّفَهَا فؤادي المغممُ
أنا من ثراكِ، فهل أضِنُّ بأدمعي
في حالتِكَ، ومن سمالكِ ألهمُ
كم ليلةً عذراء، جاذبها الهوى
أنا والعنادلُ والرُّبى والأنجمُ
لهفي عليك، أكلُ يومٍ مُصرَعُ
للحقِّ فيك، وكلُّ عيدٍ مأتَمُ
والأمرُ أمركِ، لَو رَجَعَتِ إلى الهدى
الحبُّ يبني والتباضُّ يهدمُ
ربُّاهُ، هل ترضى الشَّقَاءَ لأمةٍ
ما أذنبَتْ، إلا لأنك تحلُمُ
عدلٌ قِصَاصُكَ، كم نبي جاءهم
وأرادَ أن يتجمعوا فتقسَّموا...

الصبيا والجمال

الصبيا والجمال ملكُ يَدِينِكِ
نصبَ الحسنِ عرشه فسألنا
فاسكُبي روحكِ الحنونَ عليه
كلما نafs الصُّبَا بجمالِ
ما تُغْنِي الهَزارُ إلا لِيُلْقِي
سكرَ الروضِ سَكْرَةً صرَعَتْهُ
قتلَ الورْدُ نفسَهُ حَسْداً مِنْكِ
والفراشاتُ ملَّتِ الزهرَ لَمَّا
رفعوا مِنْكِ للجمالِ إلهاً

أَيُّ تاجٍ أعزُّ مِنْ تاجِيكِ
مَنْ تَراها لَهُ فِدلاً عَلَيْكِ
كانسكابِ السماءِ فِي عَيْنِيكِ
عَبَقْرِي السَّنا نِماءُ إِلَيْكِ
زفِراتِ الغِرامِ فِي أذُنِيكِ
عندَ مجرى العَبيرِ مِنْ نَهْدِيكِ
وَألقى دِماءُ فِي وَجنتِيكِ
حدَّثتها الأَنسَامُ عَنْ شَفَتِيكِ
وانحنوا سَجْداً عَلَى قَدَمِيكِ

أرقُ الحُسن

يبكي ويضحك لا حزناً ولا فرحاً
من بسمَةِ النجم همسٌ في قصائدهِ
قلبٌ تمرّسَ باللذاتِ وهو فتى
ما للأقاحيةِ السمرَاءِ قد صرقت
لو كنتِ تدرينَ ما ألقاهُ من شجن
غداةَ لَوحتِ بالآمالِ باسمَةُ
ما همّني ولسانُ الحبِّ يهتفُ بي
فالروضُ مهما زهتَ قفرٌ إذا حُرمتَ

كعاشقٍ خطَّ سطرأً في الهوى ومَحَا
ومن مخالسةِ الطَّيبي الذي سنحا
كبرعُم لمستهُ الريحُ فانفتحا . . .
عنا هَوَاهَا، أرقُّ الحُسنِ ما سَمَحَا
لكنتِ أرفقُ من آسى ومن صفحا
لأنَّ الذي ثارَ وانقادَ الذي جمحا
إذا تبسَّسَ وجهَ الدهرِ أو كلحا
من جانِحِ رفٍّ أو من صادقِ صدحا

خليل مطران

مُخَاجِزَةٌ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا «سَلَمَى» مُغَاضِبَةٌ
وَأَنْتِ عَلَّمْتِ جَفَنِي الْفِرَاقَ فَمَا
وَأَنْتِ أَوْقَدْتِ فِي جَنَبِي الْعَرَامَ فَمَا
«سَلَمَى» انْظُرِي الرُّوضَةَ الْغَنَاءَ سَاكِئَةً
مَنْ عَلَّمَ الزَّهْرَ أَنْ يَفْتَرِّ لِي كَذِبًا
وَنَائِخَ الطَّيْرِ إِبْلَامِي بِمَنْطِقِهِ
وَمَائِسَ الْغُضَنِ إِغْرَائِي بِعُظْمَتِهِ
هَذِي ذُنُوبُكَ يَا «سَلَمَى» جَعَلْتُ بِهَا
قَالَتْ: أَلَيْسَ غَرِيمَ الشَّرِّ جَالِبُهُ؟
فَقُلْتُ: لَا تَظْلِمِي هَذَا الْمُصَابَ فَقَدْ
هَلَّ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى قَلْبٍ رَأَى شَرَكًا
فَلَيْتَنِي مِتَّ لَا عَيْنِي إِلَيْكَ رَنْتِ
قَالَتْ: كَأَنَّكَ بَعْدَ الْحُبِّ تُبْغِضُنِي؟
«سَلَمَى» أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الضَّرَامَ إِذَا
إِنِّي لَا بُغْضَ رُوحِي عِنْدَكَ احْتَبَسْتُ
وَأُبْغِضُ الْعُمَرَ مُنْسَاهُ وَمُضْبِحُهُ
وَأُبْغِضُ النَّاسَ لَا مُسْتَثْنِيًّا أَحَدًا
حُبًّا لِحُسْنِكَ يَا «سَلَمَى» وَإِنْ هُوَ لَمْ
قَالَتْ وَقَدْ سَالَ دَمْعٌ مِنْ مَحَاجِرِهَا
وَكَاشَفْتَنِي بِمَا تُخْفِي ضَمَائِرَهَا
فَدَثَلَكَ نَفْسِي مَشْغُوفًا شَغِيفًا بِهِ
فَلَمْ أُجِبْ، وَعَدْتُ فِي الرُّوضِ نَافِحَةً

أَنْتِ الَّتِي عَلَّمْتَنِي الْحُزْنَ وَالْأَرْقَا
تَلَاقِيَا طَرِيقَةً إِلَّا لِيَفْتَرِّقَا
رَقَدْتُ إِلَّا حَسِبْتُ الْمَهْدَ مُحْتَرِّقًا
عَلَى نَعِيمٍ وَقَلْبِي ذَاكِبًا قَلْبًا
وَبَاكِئِي السُّخْبِ أَنْ يَنْدَى وَمَا صَدَقًا؟
كَأَنَّهُ شَارِخٌ خَالِي بِمَا نَطَقًا؟
فَلِنْ دَنُوتُ تَسَامَى نَافِرًا فَرَقًا؟
بَعْدَ الصَّفَاءِ حَيَاتِي مُورِدًا رَنْقًا
فَلِنْ تُعَاقِبُ فَعَاقِبَ قَلْبِكَ النُّزُقَا
ظَنَّ الْهَوَى نِعْمَةً لَكِنْ أَصَابَ شَقَا
مِنْ غَزَلِ عَيْنَيْكَ أَنْ أَغْرَاهُ فَاغْتَلَقَا؟
وَعَلَا فُؤَادِي كَمَا شَاءَ الْهَوَى حَفَقَا
فَقُلْتُ: أَعْذَرَ قَالَ شَدَّ مَا وَمَقَا
مَا شَبَّ فِي جَوْفِ طَوْدٍ رَاسِخٍ صَبْعًا؟
وَدَمَعَ عَيْنِي إِشْرَ الرُّوحِ مُنْطَلِقَا
وَفَجَّرَهُ قَاتِلَ الْأَمَالِ وَالشُّفَقَا
إِلَّا الَّتِي لَمْ تَدْعُ مِنْ مُهْجَتِي رَمَقَا
يَسْبِقُ مِنِّي إِلَّا الرَّسْمَ وَالْحَرَقَا
أَسَى عَلَيَّ وَدَمْعِي بِالسُّرُورِ رَقَا
وَهَكَذَا الزَّهْرُ إِنْ نَدَيْتُهُ عَيْقَا
فَمُرْ مُطَاعًا وَلَا رَأْيَ لِمَنْ عَشِيقَا
مَالَتْ بِغُضْنَيْنِ بَعْدَ الصَّدِّ فَاغْتَنَقَا

مقتل بزرجمهر

إشتهر كسرى بالعدل، وكان بلا نزاع أعدل ما يكون الملك المطلق اليد في أحكام بلاده. فإن كان ما وصفناه في هذه القصيدة إحدى جنایات مثله في العادلين فما حال الملوك الظالمين؟

سَجَدُوا لِكَسْرَى إِذْ بَدَأَ إِجْلَالًا
يا أُمَّةَ الْفُرسِ العَرِيقَةَ فِي الْعُلَى
كُنْتُمْ كِبَاراً فِي الْحُرُوبِ أَعِزَّةً،
عُبَادَ «كَسْرَى» مَانِحِيهِ نَفُوسَكُمْ
تَسْتَقْبِلُونَ نِعَالَهُ بِوُجُوهِكُمْ،
التَّبَرُّ «كَسْرَى» وَخَذَهُ فِي فَارِسَ،
شَرُّ الْعِيَالِ عَلَيْهِمْ وَأَعْقُهُمْ
إِنْ يُؤْتَهُمْ فَضْلاً يَمُنُّ، وَإِنْ يَرُمُ
وَإِذَا قَضَى يَوْمًا قَضَاءً عَادِلًا،



يا يَوْمَ قَتْلِ «بُزْرَجْمَهَرَ» وَقَدْ أَتُوا
مُتَأَلِّبِينَ لِيَشْهَدُوا مَوْتَ الَّذِي
يُبَدُونَ بِشَرًّا، وَالتَّفُوسُ كَظِيمَةٌ
تَجْلُو أَسْرَتَهُمْ بُرُوقُ مَسَرَّةٍ
وَإِذَا سَمِعْتَ صِيَاحَهُمْ وَدَوِيَّهُمْ



وَيَلُوحُ «كَسْرَى» مُشْرِفًا مِنْ قَصْرِهِ
شَبَحًا «لَأَرْمُوزَ» الْعَظِيمِ مُمَثَّلًا
شَمْسًا تُضِيءُ مَهَابَةً وَجَلَالًا
مَلِكًا يَضُمُّ رِدَاؤُهُ رُثْبَالًا

يَزْهُو بِهِ الْعَرْشُ الرَّفِيعُ كَأَنَّهُ
وَكَأَنَّ شُرْفَتَهُ مَقَامَ عِبَادَةٍ
وَكَأَنَّ لُؤْلُؤَهُ بِقَائِمٍ سِيفِهِ



بَسَنَى الْجَوَاهِرِ مُشْعَلٍ إِشْعَالًا
نُصِبَ التَّكْبِيرُ فِي ذُرَاهُ مِثْلًا
عَيْنٌ تَعُدُّ عَلَيْهِمُ الْآجَالَ

مَا كَانَ «كَسْرَى» إِذْ طَغَى فِي قَوْمِهِ
هُمْ حَكْمُوهُ فَاسْتَبَدَّ تَحْكُمًا،
وَالْجَهْلُ دَائٌ قَدْ تَقَادَمَ عَنْهُ
لَوْلَا الْجَهَالَةُ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ
لَكِنَّ خَفَضَ الْأَكْثَرِينَ جَنَاحَهُمْ
وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَوْجَ يَسْقُلُ بِغَضِهِ
نَقْصٌ لِفِطْرَةِ كُلِّ حَيٍّ لَا زِمَ

إِلَّا لِمَا خَلَقُوا بِهِ فَعَالًا
وَهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَصُولَ، فَصَالًا
فِي الْعَالَمِينَ وَلَا يَزَالُ عُضَالًا
إِلَّا خَلَائِقَ إِخْوَةَ أُمَّثَالًا
رَفَعَ الْمُلُوكَ وَسَوَّدَ الْأَبْطَالَ
أَلْقَيْتَ تَالِيَهُ طَغَى وَتَعَالَى
لَا يَزْتَجِي مَعَهُ الْحَكِيمُ كَمَالًا



وَإِذَا اسْتَوَى «كَسْرَى» وَأَجْلَسَ دُونَهُ
صَعَدَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْجَمَاعَةِ صِيحَةٌ
وَإِذَا الْوَزِيرُ «بُزْرَجْمَهْرُ» يَسُوقُهُ
وَتَرُوحُ حَوْلَهُمَا الْجُمُوعُ وَتَغْتَدِي
سَخِطَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ إِثْرَ نُصِيحَةٍ
«أَبْزَرْجْمَهْرُ» حَكِيمُ فَارَسَ وَالْوَرَى
«كَسْرَى» أَتْبَقِي كُلَّ قَدَمٍ غَاشِمٍ
وَتَدُقُّ فِي مَرَأَى الرَّرْعِيَّةِ عُنُقَةً
أَيِّنَ التَّفَرُّدِ مِنْ مَشُورَةِ صَادِقٍ
إِنْ تَسْتَطِيعَ فَاشْرَبْ مِنَ الدَّمِ خَمْرَةً
وَاذْبِخْ وَدَمِّرْ وَاسْتَبِخْ أَعْرَاضَهُمْ
قَلَأْتُ «كَسْرَى» مَا تَرَى تَحْرِيمَهُ
وَلْيَذْكُرَنَّ الدَّهْرَ عَذْلَكَ بَاهِرًا

قُوَادَهُ الْبُسْلَاءِ وَالْأَقْيَالَا
كَادَتْ تُزْلِزِلُ قَضْرَهُ زَلْزَالَا
جَلَادُهُ مُتَهَادِيًا مُخْتَالَا
كَالْمَوْجِ وَهُوَ مُدَافِعٌ يَتَتَالَى
فَاقْتَصَرَ مِنْهُ عَوَايَةُ وَصَلَالَا
يَطَأُ السُّجُونَ وَيَخْمِلُ الْأَغْلَالَا؟
حَيًّا، وَتُرْدِي الْعَادِلَ الْمِفْضَالَا؟
لَيَمُوتَ مَوْتَ الْمَجْرِمِينَ مُذَالَا؟
وَالْحُكْمُ أَغْدَلُ مَا يَكُونُ جِدَالَا؟
وَاجْعَلْ جَمَاجِمَ عَابِدِيكَ نِعَالَا
وَأَمْلَأْ بِلَادَهُمْ أَسَى وَتَكَالَا
كَانَ الْحَرَامَ وَمَا تُحِلُّ خَلَالَا
وَلْتُخَمِدَنَّ خَلَائِقًا وَفِعَالَا

لَوْ كَانَ فِي تِلْكَ النَّعَاجِ مُقَاوِمٌ لَكَ، لَمْ تَجِءْ مَا جِئْتَهُ اسْتِفْحَالًا
لَكِنْ أَرَادَتْ مَا تَرِيدُ مُطِيعَةً، وَتَنَاوَلَتْ مِنْكَ الْأَذَى إِفْضَالًا



نَادَاهُمُ الْجَلَادُ: هَلْ مِنْ شَافِعٍ وَأَدَارَ «كَسْرَى» فِي الْجَمَاعَةِ طَرْفَةً
تَسْبِي مَحَاسِنُهَا الْقُلُوبَ وَتَنْثَنِي بِنْتُ الْوَزِيرِ أَتَتْ لِتَشْهَدَ قَتْلَهُ
تَفْرِي الصُّفُوفَ خَفِيَّةً مَنْظُورَةً بِأَيْدٍ مُحْيَاةَا، فَأَيْنَ قِنَاعُهَا؟
لَا عَارَ عِنْدَهُمْ كَخَلْعِ نِسَائِهِمْ

«لُبَزَزُ جُمُهرٍ» فَقَالَ كُلُّ: لَا. لَا
فَرَأَى فَتَاةً كَالصَّبَاحِ جَمَالًا
عَنْهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَ كَلَالًا
وَتَرَى السَّفَاةَ مِنَ الرَّشَادِ مُدَالًا
فَرَى السَّفِيئَةَ لِلْحَبَابِ جِبَالًا
وَعَلَامَ شَاءَتْ أَنْ يَزُولَ فَرَالًا؟
أَسْتَارَهُنَّ، وَلَوْ فَعَلَنْ تَكَالِي



فَأَشَارَ «كَسْرَى» أَنْ يَرَى فِي أَمْرِهَا
مَوْلَايَ يَعْجَبُ كَيْفَ لَمْ تَتَّقُنِّي
أُنْظُرْ، وَقَدْ قُتِلَ الْحَكِيمُ، فَهَلْ تَرَى
فَازِجِعْ إِلَى الْمَلِكِ الْعَظِيمِ وَقُلْ لَهُ:
وَبَقِيَتْ وَحْدَكَ بَعْدَهُ رَجُلًا، فَسُدْ
مَا كَانَتْ الْحَسَنَاءُ تَرْفَعُ سِتْرَهَا

فَمَضَى الرَّسُولُ إِلَى الْفَتَاةِ وَقَالَ:
قَالَتْ لَهُ: أَتَعْجَبُ أَمْ سُؤَالًا؟
إِلَّا رُسُومًا حَوْلَهُ وَظِلَالًا؟
مَاتَ النَّصِيحُ وَعِشْتُ أَنْعَمَ بَالًا
وَازِعَ النُّسَاءِ وَدَبَّرَ الْأَطْفَالَ
لَوْ أَنَّ فِي هَذَا الْجَمُوعِ رِجَالًا



الياس أبو شبكة

من قصيدة «الطاقة الحمراء»

ربّاه عفوك، إنني كافرٌ جانٍ
جوّعت نفسي وأشبعته الهوى الفاني
تبعته في الناس أهواء محرّمة
وقلت للناس قولاً عنه تنهاني
ولم أفق من جنون القلب في سبلي
إلاّ وقد محت الأهواء إيماضي
ربّاه عفوك، إنني كافرٌ جانٍ



وطأت لي كنف الدنيا فقلت: قفي
يا نفس في منهل اللذات وارثفي
ومال مذهب طبعي عن سجيّته
حتى تقلّب في بطل وفي صلف
وغاب عني إنني عشبة نبئت
على جوانب إبريق من الخزف
على جوانب إبريق إذا نظرت
عين إلى عتقه انحطت على تلف
فخّارة ذات نبتين
قديمة كالزمان

مرّت قرون عليها
فحال لون الدهان
ومهد النتن فيها
مسارب الديدان
فخّارة دنتها
خواطير الإنسان
تخاصمت جانبها
مظالم الأديان
كأنما الدين فيها
ضرب من الويل ثان
كم مرّة أوعدتها
ثوائر الغليان
وكم تفجّر فيها
بالأمس من بركان
تبقي قروناً طوالاً
وتمحّي في ثوان
خزافها ذو حنان
حيناً وذو سلطان
ينهى ويأمر بالصا
عقات والنيران
ديدانها مسكرات
بخمرة التيجان
والتاج، لوهي تدري،
معنى من البهتان

رباه عفوك، إني كافرٌ جان!



ترى مشيئتك العليا تناديّني
بثورة النار في تلك البراكين؟
رباه! هل ينتهي حلمي ببارقة
من اللهيب، ويخبو الطين في الطين
وهل أرى زاحفاً في الليل ملتهباً
بجمرة السخط في أيدي الشياطين
أدعوك، والظلمة الحمراء تحرقني،
فلا تجيب، وتلوي لا تنجيني؟
أعرضت عنك غداة القلب ضلّني
كأن شهوة قلبي عنك تغنيّني
وحين أوقظت من سكر الهوى خجلاً
بحثت عنك، وكاد العار يخفيّني
فلم تمل قلبك الرحمن عن ألمي
وقلت: «تطلبني بين المساكين؟»



لكنني عدت بعد الـ
تفكير عن تيهاني
إلى ذنوب جسام
كثيرة الألوان
ملوثات بدمع
مخضبات بقان
وقلت للقلب: «أطلق

في الموبقات عناني
طيف الإله بعيد
وعينه لا تراني
وقيل يوم عصيب
ينقضّ قبل الأوان
تنقذ النار فيه
والحكم للديان
فرحت أسأل نفسي الـ
دفاع عن كفراني
فلم أجد من يحمي
عني سوى بهتاني

رباه عفوك، إني كافر جان!

- أفاعي الفردوس -

التجلي

من كتاب «غلواء» - العهد الثالث

إجرح القلب واشق شعرك منه
مصدر الصدق في الشعور هو القلب
وإذا أنت لم تُعذب وتغمس
فقوافيك زُخرف وبريق
إذا القلب لم يُرقق بحب
والهوى دون أكْبِد ليس يحيا
ضح بالقلب إن هويت فليس
يا لها في الهوى وليمة قلب
واشق ما شئت فالشقا مُحَرِّقات
رب جرح قد صار ينبوع شعر
وزفير أمسى - إذا قدسته الروح
وعذاب قد فاح منه بخور

فدم القلب خمرة الأعلام
وفي القلب مهبط الإلهام
قلما في قرارة الآلام
كعظام في مدفن من رخام
حجرتة ضعائن الأيام
فغذاء الهوى من الأجسام
القلب إلا وليمة للغرام
سوف يبقى لها صدى في الأنام
صعدت من مذابح الأرحام
تلتقي عنده النفوس الظوامي
ضرباً من أقدس الأنغام
خالد في مجامر الأحلام

أمين نخلة

على درب الريف

دروب الريف

الدرب في الريف غير الدرب في المدينة! فهي التي تنهض من وهدة إلى ربوة، وتدور من خلف شجرة، وتعرج على عين ماء، وتتوقف في ظل حائط، وتنطرح على باب بيت - تمشي على هواها، والدرب في المدينة تمشي في خط مستقيم...

والدرب في الريف بيضاء، تتلوى في خضرة، وهي في المدينة سوداء، فاحمة، يعوزها الشجر، على الجانبين، لتأس بعض الأنس، فوق ذلك السواد الطويل!

وعلى دروب الريف تعرف عابر السبيل من وقع خطوه، وعلى رصف الشوارع تتشابه الأقدام، جميعاً، في الحركة.

وكل درب في الريف قديم. فيقال، عندنا: فلان حوّل دربه عنا - يعنون أنه غير عهده، أو يقولون: فلان حوّل الدرب إلى جهة كذا - يعنون أنه غير معالم الحدّ، وخرج على القانون... لذلك تجد الدروب الريفية محطات للتذكر: فيها هنا زفت عروس، وهناك خرجوا بنعش، وهناك وقفوا، ولوحوا بالمناديل...

خيمة البركة

في الريف ظلان يحلو لظهر الأرض حملهما: ظل الشجرة، وظل الفلاح!

يدل الأول على أن التربة جيدة، ويدل الآخر على أنها تعطي، فلا ينبغي أن تترك. فكأن ظل الشجرة وفاءً من الأرض للفلاح، وكأن ظل الفلاح وفاءً منه للأرض!

والشجرة في الغابة كالرجل في الشارع: لها ألف نظير. فأما حين تنفرد في حقل، أو على رابية، أو عند منعطف طريق، فهي ملعب الريح، وملتقى الطير، ومائدته، ومقرص مناقيره بين الورق والثمر...

فيها خيمة البركة: هنيئاً لنا بانفراك!

القمح

تهب الزعازع في كرة الأرض، ويجري الدم، وتلعلع الأصوات، من أجل القمح، لا من أجل الحلاوات بلباب الجوز واللوز!! فهذا «الخبز اليومي» ينبغي أن يتوفر كل يوم! والدم البشري يقات بالنشا، والأبهة التي يستشعرها الفلاح، حين ترقص رغفان الخبز تحت سقف بيته، لا تفقد بالهين!!

فأسأل الله لهذه الأتلام، الذاهبة في الحقول كالجداول أن تصب القمح في كل عام، وأن تسيل أماناً وسلاماً، وخوفاً من القانون!

وفي العلوم، اليوم، علم اسمه: علم القمح - وهو، في ما أعرف، أجدى العلوم الإنسانية! فأسأل الله أن يجيء يوم يقال فيه: فلان علامة بالقمح، فهامة بالسنبل...

العلاقة الريفية

تقول للرجل من أهل الريف: كيف بيتك؟ فيقول: عليّة تنهض بين الرياح الأربع، ولا يخرق سطحها المطر! فتعجب له، وهو يقيم بذلك السكن الوادع، طوال عمره، لا يأكل الطيب، ولا يلبس الفاخر، ولا يجلس على الوطيء، كيف لا يتجافى عن مشقة ولا يتأبه من قناعة!!

إن الديار، وبقاع المثوى، وتربة الصبا، هي التي تحضن الأذواق،

والأنساب، والطبائع - فضلاً عن التأريخ المحلي الذي يحفظ في مجرى ساقية، أكثر مما يسان في جوف كتاب! ففي هذه المروج الريفية، وكأنها من لجج، وفي هذه الأشجار، وكأنها من زمرد، يعيش واحداهم على طول اللبث تعلّقاً بقبر دارس، مثلاً، لا بشجرة فينانة، تقلق في النسيم...

الزهرة الأدمية

المرأة في الريف أجلّ منها في المدينة، وشأنها فيه أمثل، وفضلها أتم. وهي في حقل السنبل، أو على القطف، خلف العنب، أكرم يداً منها في جمعية الفنون الجميلة... فإن الأجر على قدر المشقة! ومصاحبة المرأة للرجل، على العلات، حتى في أحقر مصايره، في الريف، بين الثقلب والمعاش، أسطح برهاناً على كونها قد خلقت لمقارنته، من قيامها إلى جانبه في مناعم العيش، ولذائذ الملهى والمطعم. غير إنني لا أعرف في الحزن شيئاً يحرك النفس، ويستدعيها إلى الوحشة، من مثل وجه امرأة عابس، يطلع عليك، في الريف، بين الورق الأخضر، والماء الدافق... فكأن الرجل الريفي قد أيبس هذه الزهرة الأدمية!

فيا رب: آدم ألفة ما بينهما...

صلاة العنز (في الريف)

ربّ! سجدت لك على ركبتني، وخفضت قرني، هذين، من فرط الخشية! فامسح الأرض عشباً، وورقاً أخضر، واطلق حياض الماء، واملاً الصهاريج، ومد بساط الظل في أذى الهواجر.

ربّ! واجعل قلوب الرعيان تخفق من رحمة، وعصيتهم تملس من ليان، وقصبات مزاميرهم تسيل من طرب.

ويا ربّ! أسألك بالغمام إذا نهض، والغيث إذا سقط، وبهذه اللجج من الخضرة، كما أسألك بالزرب والمرعى، والقربة والعصا، وبالجلجل

وطننه، وشبابه القصب وحنينها، أن لا ترسل بي إلى المدينة - آمين . . .

الأنهر الشتائية

هذه الأنهر الشتائية، التي تصب في الريف من فيض الكفاية، تهجم عليك بالكآبة، وتستقبلك بالانقباض. وليس ذلك من جهامة منظر، وقبح طلعة، بل من كونك تعرف، في ذات نفسك، كيف مصايرها في بوارح القيظ، يوم تجري الجداول، على بطائح العشب، بشفاء الغليل، وتدب هي، في قاع المجرى، بذابل علته خضرة!

وهيهات أن يشفع بها، في عينك، اليوم، قاعدة جمال الأشياء التي لا تنفع شيئاً . . .

أغاني ريفية

أغنية الإبريق

على ذكرك الشهي تقوم القيامة في ضمير العطش، وفي طلعتك اللؤلؤية
ترقص الأحشاء!

تصب في الحلق - يا شلال الشفاء، ومدد الجوف، وزغردة الانشراح -
فينطفئ الغليل وتثلج الجوانح. كأن للماء المريء سبيلاً إلى النفس اليابسة!
ولأنت - أيها الإبريق - وعاء الانتعاش، وإناء الالتذاذ، وقربة
الاستطابة، وجام القهقهة، وزق البلور الذائب، ودن البرد والسلام!! ويطول
بي القول جداً قبل أن تفيك بعض الحق هذه الكلمات المبلولة بمعاني
نعوتك...

ولقد أعرف إبريقاً في يد غضة، بضعة، أخذ من لونها لونه، ومن
شميمها شميمه، وجاء مكللاً بماء الزهر، أو بماء الورد، أو بماء تلك
اليد... يتصبب ويلتمع! فإذا أقبل، حسبت أنه يهرول إليك، في حين أنك
أنت تهرول! تأخذ بكفيك عنقه، وعروته، وتكاد لولا أهل المجلس، تأخذ
بفمك بلبلته، تمصها مصّاً!!

ويا رب إبريق، سعت به أصابع ريفية - سالت في رشح الماء
أصابعها... فلما وقع الإبريق في الأرض، أخذ أهل الريف يؤرخون بعام
كسره...

أغنية المغزل

في صحن الدار المشتجر بالزرع، وبين المعاصم والدمالج، والغلائل،
والقمصان الرقاق، يترنم المغزل ترنمه!

الله، الله، يا مغزل! ما أطرب دورانك في الأنامل الناعمة، ويا أضعاف
طربك في الوقفة والحران.

ويا خيط المغزل: لا تنقطع! فبلاد الجبل أحق الديار بقميص
العافية...

أغنية العين

يا نعمة لا تتوقف، ونعمة لا تنقطع: عجباً لديك القدرة في الليف
والخشب، وفي مهجة الحجر!

ويا زجاجاً صفاً، وفضة سالت - لا غرف، ولا خوض، بل قلة ذات
بركة، تفعل فعلها الأخضر في باب الخصب العميم: في مدحك استبحر
الريف!

أغنية السنبلة

كرأس العظيم تنخفض من شاهق! على أن حشوها حبوب الشبع،
واسمها مرادف البركة.

ويا رب سنبلة تخفق في الريح، فكأن الحلي في حركة، والحرير في
خمش... حتى إذا ولت الريح، وانقضى مهرجان رفع الرأس، عادت
السنبلة إلى سابق عهدا بالدعة.

فيا ريح: اذهبي، ويا سنبلة: اخفضي رأسك، من ثقل البركة، ولا
حرج عليك!!

أغنية نسيم الجبل

نسيم الريح هو، كما تعلم، نسيم الروح، من قديم! وليس من ينازع
في هذا النسب الطيب... إلا أن النسيم، في بلاد الجبل، هو العليل أبداً.
فاعجب لابن عم الروح، كيف يذكي الذهن، ويبسط الطبع، وكيف تصفو به
كدورة النفس، على ضعفه واعتلاله!!

وبعض الكلام يذهب في الريح . . . أما الأشواق والتحايا وبقية هذه
الحمولة الباهظة، فإنها تذهب مع النسيم، يسير بها ملء مروجه . فاعجب
له، وهو القطار اليومي، الذي يسحب كل ذلك، كيف لا يتباطأ، ولا
يتورك، ولا يكذب المثل: «أخف من النسيم»!!
ويا أهل الجبل: نسيم بلادكم لا يموت، وإن كان عليلًا . . .

بولس سلامة

ألم

شوق إلى الموت

يا موتُ يا حلمَ الخيالِ النائي
شوقي إليك أشدُّ من غَصَصِ الهوى
شوقُ الصبية نورت أكمائها
شوقُ الفريقِ إلى الضياءِ وقد هوى
يا موتُ يا ملكَ الحنانِ ظلمتني
أترى يروقُك أن أعيشَ معذباً

يا موتُ يا حلمَ الخيالِ النائي
شوقي إليك أشدُّ من غَصَصِ الهوى
شوقُ الصبية نورت أكمائها
شوقُ الفريقِ إلى الضياءِ وقد هوى
يا موتُ يا ملكَ الحنانِ ظلمتني
أترى يروقُك أن أعيشَ معذباً

الجرح المريع

فلذا وأشلاء على أشلاء
فشفاؤها مصبوعةً بدمائي
حُفراً تَضِلُّ بها عيونُ الرائي
جسمي الطعينُ مغاورٌ للداءِ
وتكادُ تلمحُ بينَها أعضائي
دقائمه إلا نذيرُ فنائي
وتدبُّ مثلَ الحيةِ الرقطاء
في النارِ بين الحسِّ والإغماء

داءٌ تخلَّل في العظامِ فردَّها
سألت على حدِّ المباحِ مُهجتي
وتشابهت مني الجراحُ فأصبحتُ
وإد تقطَّعه الكهوفُ كأنما
جرحٌ ترى أطرافه موصولةً
فإذا تحرَّك عندها قلبي فما
وتشيعُ بي حُمى تهدُّ مفاصلي
فأغيبُ في الكابوسِ غيبةً سابح

كأس الألم

ممزوجةً بمرارةٍ ودماء

كأسي على الألمِ الدويِّ شربتها

لم يبقَ للندمانِ بعدي قطرةٌ
صبحي أمرٌ من المساءِ فعيشتي
أواه لو كانَ الرقادُ يزورُنِي
لا يلتقي جفنايَ إلاّ خلّسةٌ
ألمي يشقُّ على الخيالِ لحاقه
هو كلُّ آهاتِ العصورِ تجمّعت
أيوبُ من أيوبُ؟ ماذا خطبُه؟
فلذا مررتُ على الجريحِ تَعوذه

بالدنّ في خَمارةِ الأرزاءِ
موصولُ الظلماءِ بالظلماءِ
لرضيتُ من دنياي بالإغفاءِ
فكانَ بينهما قديمَ عداٍ
فيتيهُ بينَ البحرِ والصحراءِ
مرويةٌ بمدماعِ الشهداءِ
هو قطرةٌ وأنا خضمُّ بلاءِ
فلقد أتيتُ مدافنَ الأحياءِ

وَحْدَانَهُ

غُرْبَةُ الْمُتَأَلِّمِ

سَوَّطُ الْعَذَابِ أَطَالَ سُهْدَهُ	فَرَّثْتُ لِأَتَّبِعِهِ الْمِخْدَةَ
أَنَائِثُهُ الْحَمْرَاءُ جَارِيَةٌ	مَعَ الْأَنْفَاسِ وَقْدَهُ
لَزِمَ الْوَسَادَةَ غَمْرَهُ	مَا أَطْوَلَ الْأَعْوَامَ رَقْدَهُ
بِرِّمِ السَّرِيرِ بِعَاشِقِ	أَعْيَا الْأَسَاةَ فَلَنْ تَصْدَهُ
لَا اللَّيْلُ زَحْزَحَهُ وَلَا	وَضَحَ النَّهَارُ أَزَالَ وَجْدَهُ
زَفَرَ الْحَدِيدُ وَلَا مَلَامَةٌ	فَالْحَدِيدُ أَطَاقَ جُهْدَهُ



عَشْتُ الْغَرِيبَ سَمَاحَةً	وَمُرُوءَةً وَغُرَى مَوَدَّةً
وَأَشَدُّ آلامِ التَّغْرِيبِ	جَهْلُ مَنْزِلَةٍ وَشَدَّةً
جَارُ الْحَسَامِ قَرَابُهُ	وَالْغَمْدُ يَجْهَلُ مِنْهُ حَدَّهُ
بَيْنَ الشَّهِيدِ وَأَهْلِهِ	مَنْ شَاسَعَ الْأَبْعَادِ وَهَدَّهُ
جَلَدٌ تَجَوُّزُ بِهِ الْعَيُونُ	وَتَجْهَلُ الْأَحْدَاقُ بُعْدَهُ
وَالسَّهْلُ أَنْ جَارَ الْمَدَى	تَتَجَاهَلُ الْأَبْصَارُ نَجْدَهُ



لَيْلُ الْمَرِيضِ

كَيْفَ السَّبِيلُ لْغَفْوَةٍ	وَالْهَمُّ سَاقٌ إِلَيْكَ وَقْدَةٍ
لَيْلُ الْمَرِيضِ وَهْلٌ لَهُ	فِي الْعَمْرِ أَوْ فِي الْوَقْتِ مُدَّةً
لَيْلٌ يَضِلُّ بِهِ الزَّمَانُ	فَلَيْسَ يَعْلَمُ مِنْهُ قَصْدَهُ

جمال لبنان

معدنُ المُرِّ والشذا والبخورِ
والرياحين والشعاع النثيرِ
أعجزتْ هائمها طموحُ الطيورِ
وانتهاء العلى وصرخُ العبيرِ
ومن الريح عصفه الزمهريرِ
حائماتٍ على المسيل الشجيرِ
وتبثُّ الترتيلُ في المزمورِ
في غمام من الحمام الصَّبيرِ
مضمراتُ التسبيح والتكبيرِ
يستحثُّ النفوسَ للتطهيرِ
تنادي الأرواحَ للتكفيرِ
في صفاء الزبرجد المصهورِ
فيضاً من كفِّ ربِّ قديرِ

أرضنا ربّة الدُّنى، وزُباننا
تمرُّحُ العينِ في التلالِ العذاري
مسرُّحُ القلبِ والخيالِ جمالِ
أرزها سدرَةُ الجلالِ ارتفاعاً
يتحدّى من الزمانِ عصوراً
تصدُّحُ الطيرِ بكرةً في حمانا
تتنادى من كلِّ غصنٍ لفيفِ
ناثراتِ الجناح فوق السواقي
أترى دولةَ الطيورِ تُصلي
كلُّ نجدٍ من شَمِّ لبنانَ قدسُ
فالكهوفُ الأبكارُ في سفحِ قاديشا
خلواتُ للنفسِ تومضُ منها
بركاتُ السماءِ تهمي على لبنانَ

من لبنان

جبلٌ مُهَدَدٌ للفردوسِ بابا
فإذا غابَتْ فقسراً واغترابا
نَقَلْتُ عن جفني لبنان الخضابا
فرواها الدوخُ شجواً وعتابا
أشقرَ الأذيالِ مخضلاً إهابا
عبقتُ آساً وشيحاً وملابا
طبّت آفاقاً وماءً وهضابا
خلّته في جنة المأوى مآبا
طاقتِ الأجيالُ والتاريخُ جابا
راحة المبدع لم تَبْرُحْ يبابا
أُمّة الخاطيء مختالاً لثابا
ومحطّ النسْرِ عزّاً وطلاّبا
واستشاطَ السيفُ واجتاحَ الرقابا
طابَ فيك الموتُ بعد العيش طابا
زحزحتُ عن غورِ أحلامي النقابا
لشمتُ الصخرَ أو بستُ الترابا

جاوَزَ الأنجمَ واحتلَّ السحابا
تستحمُ الشمسُ في مفرقهِ
تحمّلُ الأضواءُ للدنيا وقد
ساجعاتُ الطيرِ غنّته الهوى
واستبانَ الفجرُ في آكامهِ
تقطرُ الأنداءُ من جبهتهِ
يا أخا الأنوارِ وهابِ السنى
أرْزُك التّيّاهُ سِدرُ المنتهى
غارُ قاديشا وفي أحناهِ
كنتَ قبل الكونِ والدنيا على
هيكَلِ الهيبةِ والسحرِ فلو
يا شَقِيقَ النجمِ يا تاجَ الربى
موئلَ العقبانِ أن عزَّ الحمى
يا جبالَ الأزْرِ يا أختَ السما
غَلْغَلْتُ في مهجتي الذكرى وقد
أنا لو مُتَّعتُ فيها ساعةً

من قصيدة «الميلاد»

فدليل السماء في الركب سارا
تهمي سنئ وثغضي وقارا
واستقلّي عبر المدى الزوّارا
والثمي الشوك حوله والغبارا
منذ كانت ذرّاتها أسراراً
وانهذت القرون انتظاراً
هائمات تستعجل الأدهارا
يرتدي يوم عيده أطمارا
اسمها العذب شرف الأبكارا
الجميلات أن يعشن عذارى
فكسته من الصباح إزارا
نائم العقل والنفوس صحارى
أن سيأتي الذي يحلّ الأسارى
فروته جفونها أسفارا
ويصطف فيه مدارا
بين قطبيه يرصف الأعصارا
حملت بمرق السلام شعارا
لا مئة ولا استكبارا
خشع الهام نكسر الأبصارا
يحمل القلب للسماء شرارا
فتخال الرنين منها احتضارا
تلقى رعاة تلقى عليك الدثارا

أوماً النجم للمجوس الحيارى
ساطعاً فالتلال في حلك الإمساء
يا رياح الشمال كوني بساطاً
واستريحني هناك في قدس غار
بيت لحم في خاطر الدهر لاحت
عيل صبر الزمان يرنو إلى المولود
وعيون النجوم ملء الدياجي
ملبس الكون عزّة وسناء
بين شيخ عفا الإزار وبكر
جهل الكون قبلها أن في وُشع
خلعت حسنّها على الليل طهراً
أيها الطفل جئت والكون عار
فعزاء الأكوان قبلك وغد
موعد كحل الرؤى برجاء
حالمات بمولّد يبدأ التاريخ منه
فيكون الطفل المعظم أفقاً
وأطلت من الغياهب دنيا
دينها الحب والتسامح والغفران
أيها المهد ما ذكرناك إلا
قلما تسمع المعابد صوتاً
وتكاد الأجراس تنهد حزنأ
إن تعدّ يا يسوع يوماً فلن

وتضنُّ الشيران بالدفء ، فالإنسان
علم النعجة الودیعة كبراً
كذب ما تراه في عيدك
كان عيد الميلاد مجلى نعيم
مأتم الخلق فالطهارة خجلى
كل آت إلا يسوع يلاقى
إن ترم يا يسوع في الناس
لا يكاد المنظار يلقي مسيحياً

أعدى من لؤمه الأبقارا
وعلى السيئات راض الحمارة
الأسنى قصوراً تفجرت أنوارا
ويلهم حولوه عيد سكارى
أسبلت دمعها دماء ونارا
في ديار المنافقين ديارا
أبراراً تقاة فهي المنظارا
ويلقى في كل صقع نصارى

سعيد عقل

أبرقع اسمك بالأسماء اخترع،
حتى لقد عدت زهر الزهر، أجمعه
بالبال إن بسمة من ثغرك ارتحلت
وإنما منك لا منهن بي وجع!
آنا وآونة كاللّه أبتدع
صوب النجوم، فقلب المنتهى ولع
- أجمل منك لا -

حقان!

حقان لا أبهى ولا أجمل،
من مرمر نقش الغوى، من شمس...
لا للهوى - حذار! - لا للمس...
يا ليتني أحمل
- والفجر برد -
إليهما ضمة ورد.
وما الهناء؟
إغماض عينين على نبي ضياء!
ثم ارتماء...
وطاب طاب الموت أن أقبل!



حقان لا أبهى ولا أعذب،
كالصحو مما احلوليا، كالوهم!
ولو أنا الخالق أو لي سهم
لخلتني ألعب
حبهما؟ اسكت، يا زهر،
ما البوح؟ ما وقع القوام؟
ما قبلة في المنتظر
أو في المنام؟

حبّهما ضوء قمرا!



حقان لا أعلى ولا أروغ!
يرتشان... فالجمال اثنان
أو لا فهذا الآن ليس الآن!
مَن الذي أبدع
طيّفاً لطيفاً،
وحلماً، وليل صيف؟
يا للغريق،
وقد رنا من خلل الثوب الشفيف
صبح طريف
أغنيّتان... انظر ولا تسمع!...

- أجمل منك لا -

بحر

أبيض من غضب... هل
يضرب الشطُّ ببالي؟
صفحتي هذي التي
أكتب رجُ متتالٍ
كلماتي النار... بعض
من مجاذيف ارتحالٍ
لي من نغمتها ما
لي من همّ الليالي
طافراً فيها... وتحتي
زورق مجنون حالٍ
بيّعه الحلم يوماً
غجريات الجمالِ
وإلى أين؟... سلّ العاصف
أو هدّ الجبالِ
أنا بين الشيء، واللاشيء
مرمي المآلِ
لون عيني به أضرب
والكون سؤالي
أثرى الردُّ أن أخلُق
أو فزّد حبّ الرمالِ
لا ولا كنت لعطشانِ

الفلا لمعة آل
ليضع في أنا البحر
ويولد في خيالي
وإذا أشهق أو أغرق
في أبيض عالٍ
قلم الهول، ألا
اكتبني على الموج لآلي

- أجراس الياسمين -

سياج الورد

سياجنا هيمان . يا بردُ
غَلّ به أو يشعلَ الوردُ
اقرس . لذيذ أنت عند الضحى
والورد أزرار ولا عدّ
قد أيقظتني ثم لم تنتظر
عصفورة جناحها ندّ
كلّ صباح تتغاوى هنا . . .
والورد للأواه ينهدّ . . .
أحبها والنقط افتوتنت
حمراء بعد الصوت تسودّ
يا ليتها حطّت على خاطري
خطفأ وبعد ارتحلت بعد . . .
أحبها صدّاحة طلّقة
كأنها الشعر الذي أشدو
ويهزج السياج ، يمضي على
الأرجاء بالعطر . . . ويرتدّ . . .
وليلكي فوق من شرفة
لاح . . . فما طرفي . . . وما السُهد؟ . . .
لو لم أنظر لما أفلت
الزمان مني وانتهى البعدُ
وقد أطلت من على خصرها

غنى نطاق البرد والبرد
قطعة شمس قال . . . فاسمع بها
ولا تقرب . . . عليها وعد . . .
هذا السياج الساكني ورده
أجمل منه شعرها الجعد.

- أجراس الياسمين -

أَلَعَيْنِيَا؟

أَلَعَيْنِيكَ تَأْتِي وَخَطَرُ،
يَفْرَشُ الضَّوءَ عَلَى التَّلِّ، الْقَمَرُ؟
ضَاحِكًا لِلْغَصَنِ، مَرْتَحًا إِلَى
ضَفَةِ النِّهْرِ، رَفِيقًا بِالْحَجَرِ؛
عَلَّ عَيْنِيكَ إِذَا آنَسْتَ
أَثْرًا مِنْهُ، عَرَى اللَّيْلِ خَدْرُ.
ضَوْؤُهُ، إِمَّا تَلَفْتُ، دَدُّ،
وَرِيَّاحِينَ فَرَادَى وَزُمُرُ،
يَغْلِبُ النَّسْرِينَ وَالْفَلَ عَسَى
تَطْمَئِنِّينَ إِلَى عَطَرِ نَدْرُ.
مَنْ تَرَى أَنْتِ، إِذَا بَحْتَ بِمَا
خَبَّاتِ عَيْنَاكَ مِنْ سَرِّ الْقَدْرِ؟
حَلِمَ أَيُّ الْجَنِّ؟ يَا أَغْنِيَّةَ
عَاشٍ مِنْ وَعْدِ بِهَا سِحْرِ الْوَتْرِ.



نَسَجَ أَجْفَانُكَ مِنْ خَيْطِ السَّهَى،
كَلَّ جَفَنَ ظِلٍّ دَهْرًا يَتَنَظَّرُ؛
وَلَكَ النِّسْيَانُ، مَا أَنْتَ لَهُ،
هُوَ مَلَهَى مِنْكَ أَوْ مَرْمَى نَظَرُ.
قَبْلَ مَا كَوْنَتِ فِي أَشْوَاقِنَا،

سكرت مما سيعروها الفِكَرُ؛
قبلة في الظنِّ، حسنٌ مغلقٌ،
مشتهى ضَمَّ إلى الصدر وفز.
وقع عينيك على نجمتنا
قصة تُحكى وبثَّ وسمز،
قالتا: «ننظرُ»، فاحلولى الندى،
واستراح الظلُّ، والنور انهمز.



مفردٌ لحظك، إن سرّحتِه،
طار بالأرض جناح من زهر،
وإذا هُديك جاره المدي،
راح كون تلو كون يُبتكر!

- رندلى -

مقتطفات

من «كتاب الورد»

رأيتك . . . «أنتِ الجمال» قلت؟
لا وإنما غفرتُ للعالم زلازلها والحروب، لأن عينيك ذات يوم وقعتا
عليها.



اليوم ولدتُ في الشعر.
زارتني عيناك.
وفي أذني دحرجتا لي أكرأ من كلماتك، فيها النار والربيع.
وفيها أنتِ.



مزهوّة بي، فرحة، شهدتُك صبيحة أمس.
لكنك، وأنت في جنّات سهلنا، تلك التي آثرتها أفروديت على
الأولمب، وفي غاباتها أحبّت أدونيس، لم تستهدي الشمس تتسرّق النظر إلى
جسمك الإلهي ثم تغمز النجوم . . .



- لا تنتظرنني هذا المساء، يا حبيبي . . .
أختي الكبيرة متعبة، وسأتولّى وحدي سقاية سياج الورد.
- دعي سياج الورد يذبل، يا حبيبتني . . . إنه هو الذي يمنعني من القفز

إلى حديقتك في ليلة حرّ، وقد غاب القمر.



أخيراً وجدتك، يا حبيبي.

قل لجمالي أن ينهار على زندك...

هناك، يعود يشهق عالياً، كأنه بناية تلاعب الريح.



- أحبتك كأننا أنت السماء وأنا نسر. ما تُرى سيظفر به النسر؟... كلّ ما يعرف هو أن يضرب بجناحيه ويعلو يأبى أن يحطّ.

- وأنا أحبتك، يا معبودي، لأن جناحك أكبر من السماء.



- تعالي إلى قلبي... وأقفله عليك... وتعودي لا تهربين...

- من قال إنك تملكه، هذا القلب؟... منذ صبيحة أمس دعوت نفسي إليه... وسكنته وحدي سكنى زهرة البنفسج.



فؤاد سليمان

شقائق النعمان

... متى تنبت شقائق النعمان الحمراء في جبلنا الحلو؟ أن ضلوع
الجبل، ييسر في هذا الصقيع!
وحنايا الصخور في شوق إلى الدفء...
... ترى متى تنبت شقائق النعمان الحمراء؟
ومتى تطلع على وجه الأرض باقات «بخور مريم» العذاري؟
ومتى تعود إلى جبلنا زهوة الربيع!!
ونعود نحن، مع الربيع،
نمرغ أنوفنا بالطيوب، نشم الطيوب في معابر الدروب، وحفافي
الحقول؟
... وإنه لشتاء ثقيل، هذا الذي يخيم على قلوبنا وبيوتنا، نخرت في
ضلوعنا، وخزات البرد، وجلدت جلودنا في الصقيع...
والعين كليلة لا تشرق فيها الأضواء، في الجبال العالية.
متى تنبت شقائق النعمان الحمراء؟
وتعود الأرض عندنا تغني في الخضرة والحمرة، في ألف لونٍ ولون؟
وهذا البلبل، على شباك نافذتي، عرفته أمس...
لقد فرّ من ضيعتنا في الجبل، ليطلب الدفء والعافية هنا... ما في
حنجرته غناء...

لقد جلدت حنجرته في هذا البرد المميت . . .
إطلي أيتها الشقائق الحمراء الحلوة،
إطلي قبل أن يموت البلبل على شباك نافذتي . . .

- تمزيات -

صلاة العيد

يا الله!

من حمل الجلجلة، الذي مات على الصليب،
إلى راعي الصحراء العظيم، صاحب العصا البرهية،
والناس في هذا المشرق، يضجون بالدعاءات:
يا الله . . . يا الله . . .

وباسمك رفعنا الجبال العالية، هنا في الأرض . . .
وباسمك انحنت الجباه، لصيقة بالتراب . . .
وباسمك نحرنا الضحايا، على بوابات البيوت المعمرة لاسمك . . .
. . . وإلى كل شط غريب في مقابل الأرض، من عندنا، زورق
باسمك

وعلى اسمك يذهب ويجيء . . . بحارة مشرقيون عتاق ما خشت
مجاذيفهم في البحر، ألا وفيها من ضلوعك خسة،
ولا انتفضت قلوبهم في الريح، ألا ومن أنفاسك الإلهية فيها نفس . . .
ولا رست زوارقهم في شط، إلا وأنت ترسو بجانبهم، تنزل معهم.
يعمّرون لك قبة هنا، ومأذنة هناك، ويهتفون باسمك في العلالى
والأعالي:

يا الله! يا الله . . .

تحت سياط الجلادين الغليظة، من شعوب الأمم، هتفنا بك هتاف
الإيمان . . .

في العبوديات السوداء التي رافقت حياتنا، رأيناك حرة وملاذا...
كانت جراحنا تنزّ القيح والدم، في الحديد، في المنافي، في
الزنادين...

أطفالنا يموتون من الجوع والبرد عراة...
ونسأنا في نساء الأرض سبايا.
وشبابنا، يموت معلقاً في المشانق، ضحايا...
وعصّضنا التراب وما كفرنا...
وكنّت وصيّنا الأعظم، القيم الأكبر على أرواحنا وعقولنا، وأرضنا
ومائنا وهوائنا...
وما عصينا...

أجبناً كانت حياتنا يا الله، أم أنه الإيمان الذي لا يظلم في النفس،
مهما تكدّست الظلمات من حولها؟
أجهلاً كان يا الله، أم أنها المعرفة التي ما بعدها معرفة،
علمتنا أن لا حرية ولا نور ولا كرامة إلا مع الله وفي الله ومن الله؟
ونحن في الأرض يا الله، ما نزال ننحر على مذابح شهوات الوثنيين
الأجلاف.

ونحن في الأرض، ما نزال يا الله، جباها لصيقة بالتراب!
وما نزال نحن، يا الله، عراة مُسيّبين... فلا الجبال العالية، فيها
الكنائس والجوامع، رَفَعَتْ من جباهنا...
ولا الضحايا التي نحرناها على اسمك، محت خطايانا...
ولا بحارتنا المشرقيون، الذين زرعوك، خيراً وبركة، في الشطوط،
عادوا إلينا بالخير والبركة.
والسياط في جلودنا،

والحديد في رقابنا . . .
واسمك العظيم على شفاهنا:
يا الله ، يا الله . . .
ولا الإيمان نجّانا . . .
فهلاً حللتنا من خطيئتنا السرمديّة يا ربي!
وهلاً نجّيتنا، يا الله، مرة واحدة في العمر نعيش فيها، على اسم هذا
الوطن وهذه الأرض، وهذا التراب، ولا شيء غيره،
مرة واحدة في العمر، والعمر كله بعد ذلك لاسمك وعلى اسمك . . .
ربّ غفرانك!
ربّ حنانك!
أنا بحار من المشرقيين،
في ضميري أنت، وفي حياتي بحارتك،
أنت . . .
وفي دمي أنت .
وزورقي في اليم، باسمك يتهادى
رب غفرانك!
رب حنانك!

- تموزيات -

سنديانة

... عندنا، في الجبل سنديانة... من لبنان، من أغلى ما في تربة
لبنان من سنديان...

جذورها في التراب، تمتد في صمت وهدوء، شبيهين بصمت الأرض
نفسها...

وأغصانها تعانق الفضاء بفرح، شبيهة بفرح الإنطلاق من السجن...
قالت لها العاصفة... سأمرغ جبهتك في التراب، يا هذه السنديانة!
سأعريك، فلا يبقى فيك غير الحطام اليابس،
لن تورق فيك بعد اليوم ورقة خضراء...

سأجيئك لهيماً في الصيف... وصواعق في الشتاء...
وحتى التراب في جذورك سأجعله تراباً يابساً لا تعيش فيه حياة!!
ويسمع الناس في الجبل، سنديانة الجبل تقول للعاصفة:
أنا للعواصف شرعت جبهتي! جبهتي في السماء يا عاصفة!
لن تحني عاصفة ما جبهة لي...

جباه السنديان في بلاد الجبل لا تنحني في العواصف...
سأكسر عنقوانك وكبرياءك يا هذه العاصفة،
فلا ينكسر في شلح حتى ينكسر قبله عنقك...

... غابة السنديان في بلاد الجبل تشهد معركة الموت والحياة، بين
السنديانة والعاصفة...

- تموزيات -

صلاح لبكي

بلادي

أحبك أغنيّة في الثغور
وأمنية تتعرّى المني
وأهواك أسطورة تكتسين -
على مفرق الدهر منك ائتلاق
أكرّ على الزمن المنقضي
وأي إله سطا في العصور

وحلم هناء ورهج حبور
لديها صغاراً كحلم الصغير
انتفاض المدى وجلال العصور
وفي مقل الشهب أفياء نور
فألقاك في كلّ أمر خطير
ولم يك منك وأي أمير!



أرى من خلال الزمان البعيد
وتسري على هينمات الحداية
فيرتقص الكون تيهاً وبزهو
وتغفو الكواكب في كل أفق
وأبصر أسرع جاريات
كسرب من الحور يعبثن -
تميل بما حملته وتمضي
وتمتد أفياءها فإذا -

قوافل تمتد من شط صور
وتغدو على زقزقات الطيور
ويرفل بالأرجوان الوثير
بعيد نشاوى بهمس العطور.
على اليمّ لماعة في الأثير
بالزمرد مسترسلات الشعور.
خفافاً على بركات القدير
الشطوط هياكل قدس وفيه



بلادي فديتك وزعت في -
شرعت السخاء وكوفيت عنه
مضى في العصور الطوالع من

البرايا فؤادك نجوى بخور
من المجتدين بعق وزور
سمائك طير ولا كالطيور

تخطى السحاب ومرّغ بالشموس - جناحيه دونّ النسور
وألوى كثيرَ الحنان إلى - الفضاء ومات طعام السعير
ولكنه نفّضت نفسه - رماد الردى قبلَ يوم النشور



ألا فانفضي الذل عنك وقومي، - بلادي، على زغردات النفير
- أرجوحة القمر -

موت حلم

أهـواك دون رجاءٍ
ويسلم الحبّ بعدي
كأن حبّي شعاع
يسسعى وراء الداراي
حبّي مدى الدهر منه
يا قطعة من خيال -
ما كان وجد فؤادي
فالحلم يعشق حلماً
وفي الجفون خريف
وأنت بعد شروق
ومطرح من ربيع
أما تم خلف هذي
كأن حلماً كبيراً
فيا شقيقة نفسي

أهـواك حتى انتهائي
من عاديّات الفناء
يجوب كلّ فضاء
وخلف هذي السماء .
وفسحة الأجواء
الإله في الأحياء
لرغبة في لقاء
ويفتدي بالهناء
باك وللمح شتاء
في زحمة الأضواء
مخضوضر الأفياء
العيون خلف الرواء !
يموت قبل المساء
أهـواك دون رجاءٍ
- أرجوحة القمر -

الغتراب

أسفَ الروضُ علينا فبكانا
كيف لا يجزعُ للبين ألم
كلّ وردٍ حاملٌ منا شذاً
هذه الأدغالُ في السفحِ -
فروى الورزّالُ عثا في الضحى
ووشى الطيبُ إلى الناس بنا
يا عيونَ الروض ان شطّ بنا
إنما نحملُ ريّاك إلى

وشجا الوادي المغتني وشجانا
نكُ أطياباً بواديهِ حسانا؟
مسكراً الفوح، وحبّاً وافتتاناً
وفي جنبات السفحِ غصّت بهوانا
والعشيّات سلاماً وأماناً
فاستعنا الليلَ فيه فأعانا
عنكٍ داعٍ فهجرناكِ زماناً
آخر الدهرِ ولو فيكِ عصانا
- أرجوحة القمر -

حِلاَة

يَا رَبُّ كَيْفَ أَعْلَمُ الْأَطْيَارَ -
 أَنَا كُلَّ يَوْمٍ دَافِنٌ -
 فَإِذَا أَتَى زَمَنُ الرَّبِيعِ -
 فَاسْتَبِقْ لِي أَمَلًا وَلَوْ
 غَيْرَ أَسَى وَحَزَنٍ
 أَمَلًا أَعَزُّ عَلَيَّ مَنِّي
 وَقِيلَ: غَنَ فَمَا أَغْنَيْ؟
 أَثَرًا مِّنَ الْأَمَلِ الْأَغْنِ



أَنَا بِالْيَسِيرِ مِنَ الرَّجَاءِ -
 سَأَجُودُ مِنْهُ وَأَمَلًا -
 وَأَحَدْتُ الْآفَاقَ كَيْفَ -
 وَتَجُوبُ فِيكَ قِصَائِدِي -
 تَهْمِي عَلَى التَّعْبِيبِ أُنْدَاءَ -
 رُحْمَاكَ، رَفَقًا بِالرَّبِيعِ
 إِنَّ الرَّبِيعَ لَمِنْ غِنَايَ -
 فَإِذَا يَجِيءُ وَأَنْتَ -
 قَنَعْتُ مِنْكَ فَلَا تَضُنَّ
 الدُّنْيَا فَيُمرِّغُ كُلُّ غِصْنٍ
 تَجُودُ أَنْتَ وَكَيْفَ تُغْنِي
 الرُّكْبَانَ مِنْ ظُغْنٍ لِّظُغْنٍ
 وَتَمْسَحُ كُلَّ جَفْنٍ -
 إِذَا تَخَيَّبُ أَنْتَ ظَنِّي
 وَشَأْنُهُ فِي الْعَمْرِ شَأْنِي
 تَمْنَعُنِي الْهَنَاءَ فَمَنْ يُغْنِي؟
 - أَرْجُوهُ الْقَمَرُ -

يعقوب صروف

الأوهام وتوَلَدَها وتموَلَّها

أخبرنا صديق صادق، رفيع المقام، أنه يعرف رجلاً إذا سأله أن يحضر لك نوعاً من الفاكهة، تفاحاً، أو موزاً، أو برتقالاً، مَدَّ يديه في الهواء، وأعادهما مملوءتين بالفاكهة التي طلبتها، وقال: إنه رآه يفعل ذلك عياناً. وطلب منه مرة أن يأتيه بخمسين جنيهاً فمدَّ يديه في الهواء، وأعادهما مملوءتين بالذهب. ولا شبهة في أنه قصَّ علينا ما يعتقد صحته، ولكن هل هو صحيح لذاته؟

نحن تجاه هذا الخبر بين أمرين، إما أن نصدِّق أن بعض الناس يستطيعون أن يقطعوا الأثمار من الهواء، وأن يستخرجوا منه الذهب المسكوك، وإما أن نسلّم بأن بعض الناس يتوهم أنه رأى ما لا حقيقة له.

أما الأمر الأول فينفيه اختبار البشر في كلّ العصور وكلّ البلدان...

وأما الأمر الثاني أو الفرض الثاني، وهو أن يتوهم الإنسان أنه رأى ما لا حقيقة له، فكثير الوقوع، وما من أحد إلا ويرى كلّ يوم في أحلامه أموراً كثيرة لا حقيقة لها، وكثيراً ما يتخيّلها وهو صاح...

وبديهي أننا إذا كنّا بين فرضين أحدهما مناقض لاختبار الناس في كلّ العصور والآخر لا يناقضه الاختبار، بل يؤيده، وجب علينا أن نأخذ بالفرض الثاني لا الأول.

نسيب عريضة

سيناء

سيّان أن تصغي للنصح أو تغضي
العيش إذ يشفي كالعيش إذ يضني
الطهر لا يدني والعهر لا يقصي
الجوهر السامي يبقى بلا رجس
فافعل كما تهوى، يا قلب، لا تحذر
يا نفس، فالآتي مثل الذي يمضي
إن الذي يحي بعض الذي يُفني
فالكأس إن تطفح كالكأس في النقص
كم موسمٍ تمضي عذراء للرمس!
إن كنت من تبر ما ضرك المصهر؟
- الأرواح الحائرة -

النهاية

كفّوه
وادفنوه!
أسكنوه
ظلمة اللحد العميق
واذهبوا، لا تندبوه فهو شعب
ميّت ليس يفيق



ذّلّوه،
قتّلوه،
حمّلوه
فوق ما كان يطيق
حمل الذلّ بصبر من دهور
فهو في الذلّ عريق



هتّك عرض
نهب أرض
شنق بعض
لم تحرّك غضبة
فلماذا نذرف الدمع جزافاً؟

ليس تحيا المطبة!



لا وربّي
ما لشعب
دون قلب
غير موت من هبة
فدعوا التاريخ يطوي سرّ ضعف
ويصفي كتبه



ربّ ثار،
ربّ عار،
ربّ نار
حرّكت قلب الجبان
كلّها فينا ولكن لم تحرّك
ساكناً إلاّ اللسان . . .

- الأرواح الحائرة -

أحمد شوقي

من قصيدة «جارة الوادي»

يا جارة الوادي طربت وعادني
مثلث في الذكرى هواك وفي الكرى
ولقد مررت على الرياض بربوة
ضحكت إليّ وجوهها وعيونها
لم أدر ما طيب العناق على الهوى
وتأودت أعطاف بانك في يدي
ودخلت في ليلين فرعك والدّجي
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت
لا أمسى من عمر الزمان ولا غدّ
ما يشبه الأحلام من ذكراك
والذكريات صدى السنين الحاكي
غناء كنت حيالها ألقاك
ووجدت في أنفاسها ريّاك
حتى ترفّق ساعدي فطواك
واحمرّ من خفريهما خذاك
ولثمت كالصبح المنور فاك
عينايّ في لغة الهوى عيناك
جمع الزمان فكان يوم رضاك

من قصيدة «ملك الغربان وندور الخادم»

وله في النخلة الكبرى أريك
وهو في الباب الأمين الحازم
أنت ما زلت تحبّ الناصحين
جازت القصر ودبت في الجذور
قبل أن نهلك في أشراكها.
ثم أدنى خادم الخير وقال:
أنا لا أبصر تحتي يا ندور.
قام بين الريح والنخل خصام،
فبدا للريح سهلاً قلعها،
وهوى الديوان وانقضّ السرير.
ودعا خادمه الغالي يقول:
ما ترى ما فعلت فينا الرياح؟
أنا لا أنظر في هذي الأمور

كان للغربان في العصر مليك
جاءه يوماً ندور الخادم
قال: «يا فرع الملوك الصالحين
سوسة كانت على القصر تدور
فابعث الغربان في إهلاكها
ضحك السلطان من هذا المقال
«أنا لا أنظر في هذي الأمور،
ثم لما كان عام بعد عام
وإذا النخلة أقوى جذعها
فهوت للأرض كالتلّ الكبير
فدها السلطان ذا الخطب المهول
«يا ندور الخير أسعف بالصياح،
قال: «يا مولاي لا تسأل ندور،

أبو القاسم الشابي

من قصيدة «إرادة الحياة»

إذا الشعب يوماً أراد الحياة،
ولا بدّ لليل أن ينجلي،
ومن لم يعانقه شوق الحياة،
... كذلك قالت لي الكائنات،
ودمدت الريح بين الفجاج،
«إذا ما طمحت إلى غاية
... ومن يتهيب صعود الجبال
فعبّث بقلبي دماء الشباب،
وأطرقت أصغي لقصف الرعود
وقالت لي الأرض، لما سألت:
«أبارك في الناس أهل الطموح
والعن من لا يماشي الزمان،
... ولولا أمومة قلبي الرؤوم
فويل لمن لم تشقه الحياة
... وأعلن في الكون أن الطموح

فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ للقيد أن ينكسر.
تبخر في جوّها واندثر.
وحذّثني روحها المستتر،
وفوق الجبال، وتحت الشجر
ركبت المنى ونسيت الحذر
يعش أهد الدهر بين الحفر».
وضجّت بصدري رياح آخر،
وعزف الرياح ووقع المطر.
«أيا أم هل تكرهين البشر؟
ومن يستلذّ ركوب الخطر
ويقنع بالعيش، عيش الحجر
لما ضمّت الميت تلك الحفر
من لعنة العدم المنتصر».
لهيب الحياة وروح الظفر.

طه حسين

المزاج اللبناني

أنهكني العمل، وأحرقني القيظ، وثقلت عليّ الحياة في مصر. أقبلت إلى لبنان، ألتمس فيه شيئاً من الراحة والاطمئنان واعتدال الجو. قصدته حين تقدّم فصل الصيف، وازدحمت الفنادق بالمصطافين، حتى استعان أصحابها أهل القرى، يضيفون عندهم من لا يجدون له مكاناً في فنادقهم.

مضيت إلى فندق، كان من أضخم الفنادق، وأرحبها، وأكثرها حجرات. تلقّاني صاحبه مشرق الوجه، باسم الشجر، عذب الحديث، لم يدع لي فرصة تسمح بسؤاله، وإنما مضى في التأهيل والتسهيل والترحيب، حتّى أغرقني، وأغرق من كان معي من الرفاق، في بحر من التحيات لا حدود له.

وكانت الساعة ساعة شاي، وإذا هو يضرب يداً بيد، فيقبل الخدم من كلّ صوب، فيلقي الأمر هنا وهناك، ويتلقّى منه الأمر هذا الخادم أو ذاك، ثم يعود إلينا مضيفاً تحيّة إلى تحيّة، ومردفاً ترحيباً بترحيب، كأنه كان لي صديقاً حميماً، قد بعد العهد بيني وبينه، فهو سعيد باللقاء المفاجيء بعد الفراق الطويل الأليم.

أنفقت في هذا الفندق شهراً وبعض الشهر، ناعماً بالراحة، والهدوء الذي يملأ القلب رضا، والنفس مرحاً، والعقل نشاطاً؛ عاكفاً على القراءة والإملاء.

كنت أظنّ أول الأمر، أنّ صاحب الفندق هذا، شخص نادر في كرمه، وترحيبه بالضيف. ولكنني لم أكد أعرف اللبنانيين، وأتحدث إليهم، حتى استيقنت أنّ الكرم فيهم خلق قد فطروا عليه. وما أظنّ أحداً يجادلني في أنّ

اللبنانيّ هو أشدّ الشرقيين حبّاً للطبيعة، وتذوّقاً لمحاسنها، وقدرة على تصويرها.

قل: إنّ سحر لبنان هو مصدر هذا المزاج الخاصّ، أو علّل هذا المزاج بما شئت. ولكنّ امتياز اللبانيّ في دقّة الحسّ، ورقّة الشعور، وترفّ الذوق، شيء ليس فيه شكّ.

من كتاب «بين بين»

توفيق الحكيم

الناسك وإبليس

اتخذ قوم شجرة، صاروا يعبدونها... فلم يكد الناسك يقترب منها حتى ظهر له «إبليس» حائلاً بينه وبين الشجرة، وهو يصيح به:

- مكانك أيها الرجل... لماذا تريد قطعها؟

- لأنها تضرّ الناس.

- وما شأنك بهم؟ دعهم في ضلالهم.

- كيف أدعهم... ومن واجبي أن أهديهم؟!

- من واجبك أن تترك الناس أحراراً، يفعلون ما يحبّون.

- إنهم ليسوا أحراراً... إنهم يصغون إلى وسوسة الشيطان...

- أوتريد أن يصغوا إلى صوتك أنت؟

- أريد أن يصغوا إلى صوت الله.

- لن أدعك تقطع هذه الشجرة.

- لا بدّ لي من أن أقطعها.

فأمسك إبليس بخناق الناسك... وقبض الناسك على قرن الشيطان... وتصارعا طويلاً... إلى أن انجلت المعركة عن انتصار الناسك. فقد طرح الشيطان على الأرض، وجلس على صدره وقال له:

- هل رأيت قوّتي؟

- ما كنت أحسبك بهذه القوّة، دعني، وافعل ما شئت.

فخلّى الناسك سبيل الشيطان... وكان الجهد الذي بذله في المعركة قد نال منه... ورجع إلى صومعته، واستراح ليلته...

فتفكّر إبليس لحظة... ورأى أنّ النزال والقتال والمصارعة مع هذا الرجل لن تتيح له النصر عليه، فليس أقوى من رجل يقاتل من أجل فكرة أو عقيدة. فما من باب يستطيع إبليس أن ينفذ منه إلى حصن هذا الرجل غير باب واحد: الحيلة...

فتلطف للناسك، وقال له بلهجة الناصح المشفق:

- أتعرف لماذا أعارضك في قطع هذه الشجرة؟ إنني ما أعارض إلا خشية عليك، ورحمة بك. فإنّك بقطعها ستعرض نفسك لسخط الناس من عبّادها. ما لك وهذه المتاعب تجلبها على نفسك؟... أترك قطعها وأنا أجعل لك في كلّ يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك... وتعيش في أمن وطمأنينة وسلامة.

- دينارين؟

- نعم... في كلّ يوم... تجدهما تحت وسادتك.

فأطرق الناسك مليّاً يفكّر ثم رفع رأسه وقال لإبليس:

- ومن يضمن لي قيامك بهذا الشرط؟

- أعاهدك على ذلك... وستعرف صدق عهدي...

- سأجرّبك...

- نعم... جرّبي...

- اتفقنا.

وضع إبليس يده في يد الناسك وتعاهدا... وانصرف الناسك إلى صومعته، وصار يستيقظ كلّ صباح ويمدّ يده، ويدسّها تحت وسادته فتخرج بدينارين، حتّى انصرم الشهر. وفي ذات صباح، دسّ يده تحت الوسادة فخرجت فارغة. لقد قطع إبليس عنه فيض الذهب... فغضب الناسك...

ونهب فآخذ فأسه . . . وذهب إلى قطع الشجرة . فاعترضه إبليس في الطريق ، وصاح فيه :

- مكانك ! إلى أين ؟

- إلى الشجرة أقطعها .

فقهقه الشيطان ساخراً :

- تقطعها لأني قطعت عنك الثمن ؟

- بل لأزيل الغواية وأضيء مشعل الهداية .

- أنت ؟

- أتهازأ بي أيها اللعين ؟

- لا تؤاخذني . منظرِكَ يثير الضحك .

- أنت الذي يقول هذا ، أيها الكاذب المخاتل ؟

وانقض الناسك على إبليس وقبض على قرنه . . . وتصارعا لحظة . . .
وإذا المعركة تتجلى عن سقوط الناسك تحت حافر إبليس . فقد انتصر وجلس
على صدر الناسك مزهواً مختالاً يقول له :

- أين قوّتك الآن أيها الرجل ؟

- أخبرني كيف تغلبت أيها الشيطان .

- لما غضبت لله غلبتني ، ولما غضبت لنفسك غلبتك . . . لما قاتلت
لعقيدتك صرعتني ، ولما قاتلت لمنفعتك صرعتك .

من كتاب «مدرسة المغفلين»

نزار قباني

خمس رسائل إلى أمي

- ١ -

صباح الخير... يا حلوه...
صباح الخير... يا قديستي الحلوه
مضى عامان يا أمي
على الولد الذي أبهر
برحلته الخرافية
وخبأ في حقائبه...
صباح بلاده الأخضر
وأنجمها، وأنهرها، وكل شقيقها الأحمر
وخبأ في ملابسه
طراييناً من النعناع والزعر
وليلكة دمشقية...

- ٢ -

أنا وحدي...
دخان سجائري يضج
ومتي مقعدي يضج
وأحزاني عصافير...

تفتّش - بعد - عن بيدز
عرفت نساء أوروبا ...
عرفت عواطف الإسمنت والخشب
عرفت حضارة التعب ...
وطفت الهند، طفت السند، طفت العالم الأصفر
ولم أعر ...
على امرأة تمسّط شعري الأشقر
وتحمل في حقيبتها ...
إليّ عرائس السكر
وتكسوني إذا أعرى
وتنشلني إذا أعرز
أيا أمي ...
أيا أمي ...
أنا الولد الذي أبحر
ولا زالت بخاطره ...
تعيش عروسة السكر
فكيف ... فكيف يا أمي
غدوت أبا ...
ولم أكبر ...

- ٣ -

صباح الخير، من مدريد
ما أخبارها الفلّة؟
بها أوصيك يا أُمّة ...
تلك الطفلة الطفلة

فقد كانت أحبّ حبيبة لأبي...
يدلّلها كطفلته
ويدعوها إلى فنجان قهوته
ويسقيها...
ويطعمها...
ويغمرها برحمته...
... ومات أبي
ولا زالت تعيش بحلم عودته
وتبحث عنه في أرجاء غرفته
وتسأل عن عباءته...
وتسأل عن جريدته...
وتسأل - حين يأتي الصيف -
عن فيروز عينيه...
لتنثر فوق كفيه...
دنائيراً من الذهب...

- ٤ -

سلاماتٍ .
سلاماتٍ .
إلى بيت سقانا الحبّ والرّجْمُ
إلى أزهارك البيضاء... فرحة (ساحة النجمة)
إلى تختي...
إلى كتبي...
إلى أطفال حارتنا...
وحيطان ملأناها...

بفوضى من كتابتنا . . .
إلى قطط كسولات
تنام على مشارفنا
وليلكة معرشة
على شباك جارتنا
مضى عامان . . . يا أمي
ووجه دمشق،
عصفور يخرش في جوانحنا
يعضّ على ستائرنا . . .
وينقرنا . . .
برفقٍ من أصابعنا . . .

- أحلى قصائدي -

نهر الأجزاء

عينناك... كنهري أحزان
نهري موسيقى حملاني
لـوراء... وراء الأزمـان
نهري موسيقى قد ضاعا
سـيديتي، ثم أضاعاني
الدمع الأسود... فوقهما
يتساقط أنغام بيان
عينناك، وتبغي وكحولي
والقدح العاشر أعمانني
وأنا في المقعد... محترق
نيراني تأكل نيراني
أقول أحبك... يا قمري
آه... لو كان بإمكانني
فأنال أملك في الدنيا
إلا عينيـك... وأحزاني



سفني في المرفأ باكيفة
تتمزق فوق الخلجان
ومصيري الأصفر حطمني
حطم في صدري إيـماني

أأسافر دونك ليلـكـتي
يا ظلّ الله بأجفاني
يا صيفي الأخضر، يا شمسي
يا أجمل... أجمل ألواني
هل أرحل عنك... وقصتنا
أحلى من عودة نيسان
أحلى من زهرة غاردينيا
في غُتمة شـعـر إسباني
يا حبي الأوحـد... لا تبكي
فدموعك تحفر وجداني
إنني لا أملك في الدنيا
إلا عينيك... وأحزاني



أأقول أحبك... يا قمري
آه... لو كان بإمكانني
فأنسا إنسان مفقود
لا أعرف في الأرض مكانني
ضيّعني دربي... ضيّعني
إسمي... ضيّعني عنواني...
تاريخي! مالي تاريخ
إنني نسيان النسيان
إنني مرساة لا ترسو
جرح بملاح إنسان
ماذا أعطيك؟ أجيبيني

قلقي؟ إلحادي؟ غثياني؟
ماذا أعطيك سوى قدرٍ
يرقص في كف الشيطانِ



أنا ألف أحبك... فابتعدي
عني... عن ناري ودخاني
فأنا لا أملك في الدنيا
إلا عيني... وأحزاني
- أحلى قصائدي -

مكابرة

تُراني أحبّك؟ لا أعلم
سؤال يحيط به المبهمة
وإن كان حبي افتراضاً. لماذا؟
إذا لحقت طاش برأسي الدم
وحرار الجواب بحنجرتي
وجفّ النداء... ومات الفم
وفرّ وراء ردائك قلبي
ليلثم منك الذي يُلثم
تُراني أحبّك؟ لا. لا. محال
أنا لا أحبّ... ولا أغرم



وفي الليل تبكي الوسادة تحتي
وتطفو على مضجعي الأنجم
وأسأل قلبي: أتعرفها؟
فيضحك مني، ولا أفهم
تُراني أحبّك؟ لا. لا. محال
أنا لا أحبّ... ولا أغرم



وإن كنت لست أحبّ، تراه
لمن كلّ هذا الذي أنظم؟

وتلك القصائد أشدو بها
أما خلفها امرأة تُلهم؟
تُراني أحبّك؟ لا. لا. محال
أنا لا أحبّ... ولا أغرم



إلى أن يضيق فؤادي بسري
ألحّ وأرجو. وأستفهم
فيهمس لي: أنت تعبدُها
لماذا تكابر... أو تكتُم؟

- قالت لي السمراء -

يا ست الدنيا يا بيروت

- ١ -

يا ست الدنيا يا بيروت...
من باع أساورك المشغولة بالياقوت؟
من صادر خاتمك السحري،
وقصّ صفاترك الذهبية؟
من ذبح الفرع النائم في عينيك الخضراوين؟
من شطب وجهك بالسكين،
وألقى ماء النار على شفّتك الرائعتين
من سمّ ماء البحر، ورشّ الحقد على الشيطان
الوردية؟

ها نحن أتينا... معتردين... ومعتريين
أنا أطلقنا النار عليك بروح قبلية...
فقتلنا امرأة... كانت تدعى (الحرية)...

- ٢ -

ماذا نتكلّم يا بيروت...
وفي عينيك خلاصة حزن البشرية
وعلى نهديك المحترقين... رماد الحرب الأهلية
ماذا نتكلّم يا مروحة الصيف، ويا وردته الجورية
من كان يفكر أن نتلاقى - يا بيروت - وأنت خراب؟
من كان يفكر أن تنمو للوردة آلاف الأناب؟

من كان يفكر أن العين تقاتل في يوم ضدّ الإرهاب؟
ماذا نتكلّم يا لؤلؤتي؟
يا سنبلتي...
يا أقلامي...
يا أحلامي...
يا أوراقِي الشعرية...
من أين أتتِ القسوة يا بيروت،
وكنت برقة حورية...
لا أفهم كيف انقلب العصفور الدوري...
لقطة ليل وحشية...
لا أفهم أبداً يا بيروت
لا أفهم كيف نسيت الله...
وعدت لعصر الوثنية...

- ٣ -

قومي من تحت الموج الأزرق، يا عشتار
قومي كقصيدة وردٍ...
أو قومي كقصيدة ناز
لا يوجد قبلك شيء... بعدك شيء... مثلك شيء...
أنت خلاصات الأعماز...
يا حقل اللؤلؤ...
يا ميناء العشق...
ويا طاووس الماء...
قومي من أجل الحب، ومن أجل الشعراء
قومي من أجل الخبز، ومن أجل الفقراء

الحب يريدك... يا أحلى الملكات...
والرب يريدك، يا أحلى الملكات
ها أنت دفعت ضريبة حسنك مثل جميع الحسنات
ودفعت الجزية عن كل الكلمات...

- ٤ -

قومي من نومك...
يا سلطنة، يا نؤارة، يا قنديلاً مشتعلًا في القلب
قومي كي يبقى العالم يا بيروت...
ونبقى نحن...
ويبقى الحب...
قومي...
يا أحلى لؤلؤة أهداها البحر
الآن عرفنا ما معنى...
أن نقتل عصفوراً في الفجر
الآن عرفنا ما معنى...
أن ندلق فوق سماء الصيف زجاجة حبر
الآن عرفنا...
أنا كنا ضدّ الله... وضدّ الشعر...

- ٥ -

يا ست الدنيا يا بيروت...
يا حيث الوعد الأول... والحب الأول...
يا حيث كتبنا الشعر...
وخبئناه بأكياس المخمل...

نعترف الآن... بأننا كنا يا بيروت،
نحبك كالبدو الرحل...
ونمارس فعل الحب... تماماً
كالبدو الرحل...
نعترف الآن... بأنك كنت خليلتنا
نأوي لفراشك طول الليل...
وعند الفجر، نهاجر كالبدو الرحل
نعترف الآن... بأننا كنا أميين...
وكنا نجهل ما نفعل...
نعترف الآن، بأننا كنا من بين القتلة...
ورأينا رأسك...
يسقط تحت صخور الروشة كالعصفور
نعترف الآن...
بأننا كنا - ساعة نُقذ فيك الحكم -
شهود الزور...

- ٦ -

نعترف أمام الله الواحد...
أنا كنا منك نغار...
وكان جمالك يؤذينا...
نعترف الآن...
بأننا لم ن نصفك... ولم نعذرك... ولم نفهمك...
وأهديناك مكان الوردة سكيناً...
نعترف أمام الله العادل...
أنا راودناك...

وعاشرناك . . .
وضاجعناك . . .
وحملناك معاصينا . . .
يا ست الدنيا، إن الدنيا بعدك ليست تكفيننا . . .
الآن عرفنا . . . أن جذورك ضاربة فينا . . .
الآن عرفنا . . . ماذا اقترفت أيدينا . . .

- ٧ -

الله . . . يفتش في خارطة الجنة عن لبنان
والبحر يفتش في دفتره الأزرق عن لبنان
والقمر الأخضر . . .
عاد أخيراً كي يتزوج من لبنان . . .
أعطيني كفك يا جوهرة الليل، وزنبقة البلدان
نعترف الآن . . .
بأننا كنا ساديين، ودمويين . . .
وكنا وكلاء الشيطان
يا ست الدنيا يا بيروت . . .
قومي من تحت الردم، كزهرة لوز في نيسان
قومي من حزنك . . .
إن الثورة تولد من رحم الأحزان
قومي إكراماً للغابات . . .
وللأنهار . . .
وللوديان . . .
قومي إكراماً للإنسان . . .
إننا أخطأنا يا بيروت . . .

وجئنا نلتمس الغفران... .

- ٨ -

ما زلت أحبك يا بيروت المجنونة...
يا نهر دماء وجواهر...
ما زلت أحبك يا بيروت القلب الطيب...
يا بيروت الفوضى...
يا بيروت الجوع الكافر... والشعب الكافر...
ما زلت أحبك يا بيروت العدل...
ويا بيروت الظلم...
ويا بيروت السني...
ويا بيروت القاتل والشاعر...
ما زلت أحبك يا بيروت العشق...
ويا بيروت الذبح من الشريان إلى الشريان...
ما زلت أحبك رغم حماقات الإنسان
ما زلت أحبك يا بيروت...
لماذا لا نبتدىء الآن؟؟

من كتاب

«إلى بيروت الأنثى مع حبي»

المصادر والمراجع

- ١ - «تاريخ لبنان»، فيليب حتي، دار الثقافة، ١٩٦٨.
- ٢ - «جبران خليل جبران»، ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل، ١٩٧٨.
- ٣ - «الغربال»، ميخائيل نعيمة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤.
- ٤ - «في الغربال الجديد»، ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل، ١٩٧١.
- ٥ - «المراحل»، ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل، ١٩٧١.
- ٦ - «كتاب مرداد»، ميخائيل نعيمة، دار صادر، ١٩٦٦.
- ٧ - «همس الجفون»، ميخائيل نعيمة، مؤسسة نوفل، ١٩٨٨.
- ٨ - «دمعة وابتسامة»، جبران خليل جبران، دار صادر.
- ٩ - «العواصف»، جبران خليل جبران، دار صادر.
- ١٠ - «البدائع والطرائف»، جبران خليل جبران، دار صادر.
- ١١ - «التطرف والإصلاح»، أمين الريحاني، مطابع صادر ريحاني، ١٩٥٠.
- ١٢ - «هتاف الأودية»، أمين الريحاني، ١٩٥٥.
- ١٣ - «الياس أبو شبكة في غلواء»، سامي ج. خوري والياس رحيم، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٠.
- ١٤ - «أفاعي الفردوس»، الياس أبو شبكة، دار المكشوف.
- ١٥ - «الخمائل»، إيليا أبو ماضي، دار العلم للملايين.
- ١٦ - «تبر وتراب»، إيليا أبو ماضي، دار العلم للملايين.
- ١٧ - «الجداول»، إيليا أبو ماضي، دار العلم للملايين.

- ١٨ - «رندلى»، سعيد عقل، منشورات نوفل، ١٩٧١.
- ١٩ - «أجراس الياسمين»، سعيد عقل، منشورات نوفل.
- ٢٠ - «كتاب الورد»، سعيد عقل، مكتبة نداف، ١٩٧٢.
- ٢١ - «أجمل منك لا»، سعيد عقل، المكتب التجاري، ١٩٦٠.
- ٢٢ - شعر الأخطل الصغير.
- ٢٣ - «أرجوحة القمر»، صلاح لبكي.
- ٢٤ - «تموزيات»، فؤاد سليمان، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٥.
- ٢٥ - «أحلى قصائدي»، نزار قباني، منشورات نزار قباني، ١٩٩٢.
- ٢٦ - «قالت لي السمراء»، نزار قباني، منشورات نزار قباني، ١٩٩٣.
- ٢٧ - «إلى بيروت الأنثى مع حبي»، نزار قباني، منشورات نزار قباني، ١٩٩٧.
- ٢٨ - «المفكرة الريفية»، أمين نخلة.

المحتويات

٥ الفصل الأول: العصر الأندلسي
٧ شعراء العصر الأموي في الأندلس
١١ شعراء عصر ملوك الطوائف
١٥ شعراء عصر بني الأحمر
١٧ الموشحات الأندلسية
١٩ النثر الأندلسي
٢٤ أقطاب الحركة الفلسفية الأندلسية
٢٩ نماذج من الشعر الأندلسي
٣١ أبو بكر بن زهير
٣٢ ابن هشام القرطبي
٣٣ ابن خفاجة
٣٤ ابن زيدون
٣٥ المعتمد بن عباد
٣٦ ابن مرج الكحل
٣٧ شمس الدين الكوفي
٣٨ ابن زمرك
٣٩ لسان الدين بن الخطيب
٤٠ أبو بكر بن عمّار
٤١ أبو بكر بن اللبانة

٤٢	ابن الأبار القضاعي
٤٣	الفصل الثاني: عصر النهضة الفكرية
٤٥	العوامل المؤثرة في عصر النهضة
٥٠	على الطريق
٦٥	أبرز أعلام عصر النهضة
٨٧	نماذج من عصر النهضة
٨٩	جيران خليل جبران
١٠٢	ميخائيل نعيمة
١١٥	إيليا أبو ماضي
١٢١	رشيد أيوب
١٢٢	أمين الريحاني
١٢٤	فوزي المعلوف
١٣٥	شفيق المعلوف
١٣٧	مي زيادة
١٣٩	الأخطل الصغير
١٤٧	خليل مطران
١٥١	الياس أبو شبكة
١٥٦	أمين نخلة
١٦٣	بولس سلامة
١٧٠	سعيد عقل
١٨١	فؤاد سليمان
١٨٧	صلاح لبكي

١٩٢	يعقوب صروف
١٩٣	نسيب عريضة
١٩٦	أحمد شوقي
١٩٨	أبو القاسم الشابي
١٩٩	طه حسين
٢٠١	توفيق الحكيم
٢٠٤	نزار قباني
٢١٩	المصادر والمراجع